# مجلة البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

## داخل العدد


- دور إذاعة شمال سيناء فى تنمية مجتمعها المحلى
- الاغتراب المهنى للصحفيين المصريين وانعكاساته على الأداء الصحفى : اللا فعالية ، اللا رضا
- احتياجات مندوبى الصحف السعودية دراسات مسحية لمندوبى الصحف السعودية
- البث التلفزيونى المباشر والهوية الثقافية العربية « دراسة استطلاعية »


العدد العاشر

يناير ١٩٩٩

# مجلة
# البحوث الإعلامية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة :
الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

رئيس التحرير :
الأستاذ الدكتور / حمدى حسن محمود

سكرتيرو التحرير :
د / محمود عبد العاطى مسلم
د / عبد العظيم إبراهيم خضر
د / محمد شعبان وهدان
د / أحمد منصور هيبه

المشرف الفنى
محمود حسن الليثى

المراسلات
توجه باسم الأستاذ الدكتور / رئيس التحرير على العنوان التالى :
جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة قسم الصحافة والإعلام - تليفون ٥١٠١٤٦٦

## هيئة المحكمين


الأستاذة الدكتورة/ جيهان رشتى

الأستاذ الدكتور/ فاروق أبو زيد

الأستاذ الدكتور/ محيى الدين عبد الحليم

الأستاذ الدكتور/ كرم شلبى

الأستاذ الدكتور/ على عجوه

الأستاذة الدكتورة/ ماجى الحلوانى

الأستاذة الدكتورة/ ليلى عبد المجيد

الأستاذ الدكتور/ سامى الشريف

الأستاذ الدكتور/ أشرف صالح

الأستاذ الدكتور/ عدلى رضا

الأستاذ الدكتور/ حسن عماد



جميع الآراء الواردة فى هذه المجلة تعبر عن رأى صاحبها ولا تعبر عن رأى المجلة



العدد العاشر

يناير ١٩٩٩

# الفهرس


| م | الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | افتتاحية العدد .....<br>أ. د/ أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر | ٣ |
| ٢ | دور إذاعة شمال سيناء فى تنمية مجتمعها المحلى .....<br>د/ جيهان يسرى | ٧ |
| ٣ | الاغتراب المهنى للصحفيين المصريين وانعكاساته على الأداء الصحفى : اللا فعالية ، اللا رضا .....<br>د/ صابر حارص محمد | ٦٣ |
| ٤ | احتياجات مندوبى الصحف السعودية من التعليم والتدريب الإعلامى - دراسة مسحية لمندوبى الصحف السعودية فى مكة المكرمة .....<br>د/ طالب بن عايد الأحمدى | ١٥١ |
| ٥ | البث التليفزيونى المباشر والهوية الثقافية - دراسة استطلاعية<br>د/ طه عبد العاطى نجم | ١٨٥ |

# البث التلفزيونى المباشر والهوية الثقافية العربية

## « دراسة استطلاعية »

دكتور

طه عبد العاطى مصطفى نجم (*)

**المقدمة :**

البث التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية نتيجة حتمية لتطور تكنولوچيا الاتصال . وقد أصبح المواطن يتنقل بيسر بين المحطات التليفزيونية دون رقابة إلا من نفسه ومن ضميره الوطنى والدينى ووفق إمكانياته الثقافية واللغوية . وبدأت ظاهرة البث المباشر تأخذ مكانة هامة بين الباحثين والمتخصصين . إذ يرى بعض الباحثين أن تأثيره على المشاهد العربى قد يكون إيجابياً أو سلبياً أو الاثنين معاً . فمن الآثار الإيجابية أنه يجدد الثقافة الوطنية الراكدة فى بعض الأحيان بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع مع تشجيع التبادل الحضارى ونشر التسامح الثقافى بين الأمم والشعوب . وذلك يساهم فى تطور وسائل الاتصال المحلية وبخاصة التلفزيون ، إذ تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها . ومن إيجابيات البث المباشر أيضاً اختفاء فكرة السيادة الإعلامية التى كانت تتمسك بها الدول الأمر الذى سوف يثير قلق الحكومات الاستبدادية العنصرية . أما الجوانب السلبية فى البث التلفزيونى المباشر فتتمثل فى تشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأى العام وتوجيه رغبات الناس بما يوافق سياسات أصحاب هذه المحطات ومصالحها فى الدول الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة . أيضاً يستطيع البث التلفزيونى المباشر إشاعة الميول الاستهلاكية النهمة والرغبة فى التقليد والمباهاة ، وأخيراً حقن الوجدان القومى بقيم ومعايير وسلوكيات قد لا توافق الثقافة التقليدية ، الأمر الذى يهدد النسيج الاجتماعى .

وقد استقطبت مسألة الاستقبال التلفزيونى المباشر بواسطة الأطباق منذ التسعينيات اهتمام الجميع فى العالم العربى - سواء القادم من الخارج وما نبثه نحن - من سياسيين ومفكرين وباحثين اجتماعيين ومختصين بمجال الإعلام والاتصال . كما أثارت هذه القضية جدلاً واسعاً فى مختلف الأوساط . واتخذت السلطات فى العديد من الأقطار العربية

---

(*) المدرس بشعبة الإعلام - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

تجاهها مواقف متباينة . وربما كان سبب تخوف الكثير من ظاهرة البث التلفزيونى المباشر هو الحفاظ على الهوية الثقافية العربية ، فى الوقت الذى تحاول فيه الولايات المتحدة اختراق الثقافات الوطنية فى كثير من دول العالم ومن بينها الثقافة العربية . وتنفق الولايات المتحدة ٢٥٠ مليار دولار سنوياً لترويج ثقافتها ، وانشأت محطة MTV للقيام بهذه المهمة على مستوى العالم . حيث تبث الصور الخليعة والموسيقى والفنون التى تدغدع الأحلام . وتمارس الولايات المتحدة الهيمنة الإعلامية من خلال تحكمها فى تجهيز المعلوماتية والحاسوبية وغزو الفضاء وبنوك المعلومات . وتتركز معظم مصادر البث الإعلامى والأقمار الصناعية ومواد تصنيعها فى يد الولايات المتحدة أيضاً . وتستطيع مراكز البث والتصنيع بث الأخبار والمعلومات التى تناسبها ، وتشكل صورة العالم بما يوافق مصالحها . وتستطيع أيضاً التحكم فى الأفكار والأذواق والأزياء الثقافية والانتشار الأدبى واللغوى بالشكل الذى يوافق مصالحها .

## أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على سؤال رئيسى إلى أى مدى يستطيع البث التلفزيونى المباشر التأثير فى الهوية الثقافية العربية ؟ والإجابة عليه تقتضى طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية ، تشكل الإجابة عليها المحاور الرئيسية للدراسة وهى :

١ - ما الخصائص التى تميز التلفزيون باعتباره وسيلة ثقافية ؟

٢ - كيف يستطيع البث التلفزيونى المباشر عولمة المجتمع إعلامياً وثقافياً ؟

٣ - ما تأثير البث التلفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية العربية ؟

٤ - ما نتائج تأثير البث التلفزيونى فى الهوية الثقافية المصرية ؟

## المفهومات الأساسية :

### ١ - الهوية الثقافية Cultural identity :

ركزت بعض الآراء فى تعريفها لمفهوم « الثقافة » باعتبارها مجموعة قيم تنسب إلى جماعة معينة . وفى بعض التعريفات هى « مجموعة من الخصائص تميز مجموعة معينة أو جماعة فرعية تتمثل فى القيم والمعتقدات والافتراضات الأساسية بالإضافة إلى أى سلوك يظهر منهم » . وتوصف الثقافة أحياناً بأنها نظام مكون من ثلاث طبقات هى فى الواقع مثل « البصلة » يجب أن نزيل القشرة الأولى لكى نرى الطبقة التالية ، ويمكن

تفسير الطبقات الثلاث للثقافة بأن الطبقة الخارجية مصنوعات يدوية ومنتجات ، وهى أكثر وضوحاً من الطبقات التى تضم اللغة والطعام والهندسة المعمارية ، أما الطبقة الداخلية الثانية فتضم المعايير والقيم ، ويقصد بالمعايير الإحساس المشترك المتبادل بين ما هو صحيح وخاطئ ، بينما تمثل القيم تحديد ما هو جيد وما هو سيئ ، وأخيراً تأتى الطبقة الأعمق وهى فرضيات أساسية تمثل فرضيات صميم الحياة اليومية وكيفية معالجة مشاكلها (١) .

ولما كانت الثقافة تمثل الأشياء الموروثة والمكتسبة جاءت الهوية الثقافية لتمثل نموذجاً ثقافياً مكتسباً وموروثاً نابعاً من الثوابت والمتغيرات التاريخية والطبيعية والبشرية والثقافية التى تتميز بالثبات النسبى ، ولكن فى الوقت نفسه تتميز بالتطور عبر العصور والقرون ، وإن كان تغييراً تدريجياً وعلى جرعات ضئيلة وليس بالتغييرات الجذرية الحادة (٢) .

وإذا حاولنا تحديد هويتنا الثقافية يجب أن نحدد من نحن وكيف ننظر للناس . فالهوية بناء كبير تعرف فى ضوء وجود الفرد مع عدد من الجماعات الاجتماعية الهامة التى تشمل الأسرة والجنس ومكان الإقامة والوضع الاقتصادى والعرق . وبالرغم من أن هذه الجماعات الاجتماعية لا تستطيع بناء هوية متكاملة لشخص ، لكنها تأخذ فى الاعتبار تقديم العناصر الأساسية للهوية الثقافية (٣) .

ويمكن أن توصف الهوية الثقافية بأنها النواة الحية للشخصية الفردية والجماعة ، والعامل الذى يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصلية للفرد والجماعة ، والعنصر المحرك الذى يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية التى تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجيا المشتركة وطموحات الغد . فالهوية الثقافية فى واقع الأمر جزء عضوى من فكرة الثقافة لأنها مهما اختلفت أنواعها ، فإن التعبير عنها يظل ذاتياً بصورة من الصور . والثقافة دائماً عالمية من حيث الوظيفة لأنها تتوجه إلى كل إنسان ، فهى تنطوى إذن على ظاهرتين متناقضتين هما خصوصية قومية من حيث الإنتاج وعمومية إنسانية من حيث الوظيفة . ولذلك فالعنصر الهام فى الإنتاج الثقافى هو خصوصيته وأصالته أى هويته الثقافية التى تميزه (٤) .

ويشير مفهوم الهوية الثقافية أيضاً إلى ظاهرتين متكاملتين هما إحساس داخلى بالجمعية أو التوحد مع ثقافة معينة أو ثقافية فرعية ، وإحساس خارجى يندرج ضمن ثقافة

معينة كى تشارك إحساس ما هو مشترك مع الثقافات الأخرى وما يميزه عنها . فالثقافة يجب أن تهدف إلى التعرف على سلوك جماعة من الناس يترابطون ويتفاعلون [٥] .

وبالرغم من الإسهامات العديدة فى تحديد مصطلح الهوية الثقافية يصعب فى الواقع رسم حدود الهوية أو الخصوصية الثقافية . لذلك يرى الكثيرون أن الهوية مفهوم أيديولوجى أكثر منه علميا ، خاصة أن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة ؛ قد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية ، وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها . ولذلك يمكن لمجتمع أن يبدل هويته حسب المراحل التاريخية والظروف الراهنة [٦] .

ويعتقد بايارا « أن الهوية فى أقصى أحوالها لا تخرج عن الإطار السياسى فهناك علاقة معقدة بين التصورات الثقافية والممارسات السياسية والأساليب الشعبية فى التحرك السياسى ، ويبرهن (بايارا) كلامه بالحروب التى شهدتها يوغسلافيا والقوقاز والجزائر فقد انعقدت تلك النزاعات حول مفهوم الهوية ، وهى تستمد قوتها المهلكة من افتراض يزعم بأن الهوية الثقافية تقابلها بالضرورة هوية سياسية [٧] .

ونخلص مما سبق إلى القول بأن الهوية الثقافية هى طريقة حياة ( أسلوب حياة ) لمجتمع إنسانى ، وتنتقل من جيل إلى آخر بواسطة التعلم (اللغة والوسائل الرمزية الأخرى) والخبرات . وهى متضمنة فى الثقافات العالمية والتنظيمات الاجتماعية والدين والبناء الاقتصادى والثقافة المادية واللامادية ، وتنتشر بين الجماعات بواسطة الاتصال المباشر أو غير المباشر وهو ما يطلق عليه ظاهرة الانتشار .

إذن الهوية الثقافية ليست نمطاً جامداً ، ولكنها تتميز بالتطور عبر العصور والأزمات ، وإن كان تغيراً يتم بطريقة تدريجية . والهوية الثقافية أيضاً عملية منتجة باستمرار وليست ثابتة . وتتبلور داخل الأشكال التنظيمية والنظم الاجتماعية والقواعد والقوانين وأنماط القيادة . وتستطيع المؤسسات التعليمية والتثقيفية والإعلامية التعبير عن الهوية الثقافية بأشكال متعددة . وتستطيع أيضاً المؤسسات السياسية والاقتصادية التعبير عنها فى نماذج الديموقراطية والمشاركة السياسية ، وكذلك فى التعاملات الاقتصادية ونظم السوق وغيرها ، وأخيراً الهوية الثقافية هى نمط حياة المجتمع يتمثل فى العادات والتقاليد والتفكير والممارسات الأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية ، بالإضافة إلى مظاهر الإبداع الأدبى والفنى والتكنولوچى .

٢ - البث التلفزيونى المباشر ( D. B. S ) Direct Broadcasting Stattelite :

يرجع الاهتمام بفكرة البث التلفزيونى المباشر إلى سنة ١٩٨٠عندما أعلن فى الولايات المتحدة عن سياسة السماء المفتوحة التى بمقتضاها يمكن لأى جهة تمتلك المال اللازم أن تطلق قمرها الخاص حيث يمكن بث برامج فى الأخبار والرياضة والدين والاقتصاد والمال وغيرها ، ويستطيع رجال الأعمال والبنوك عقد المؤتمرات عبر الأقمار بالبث المباشر على قناة خاصة ، بحيث يمكن لكل شخص مشاهدة الأطراف الأخرى فى الاجتماع وهو على بعد آلاف الكيلومترات ، فضلاً عن خدمات التلكس والفاكس وإرسال المستندات وغيرها . ويتم توجيه هذه المواد بنظام الحزم الإشعاعية المركزة « البيتم » إلى القمر الصناعى ثم ترتد مرة أخرى إلى الأرض فى بقعة أخرى معينة ، ويتم ذلك بوساطة أجهزة الكمبيوتر وعن طريق الأقمار الصناعية بالبث المباشر وبأسرع ٤٠٠ مرة من استخدام شبكات التليفونات الأرضية [٨] .

ونتيجة للتطور المستمر فى تكنولوجيا البث المباشر بدأ تشغيل النظام الرقمى فى الإذاعة والتلفزيون وكذلك الإنترنت ، وذلك لتشكيل عالم جديد فى الاتصال الجماهيرى . ويتأسس هذا الاتصال على الاندماج وتكامل المحتوى الإعلامى ، ويعتمد أيضاً على الاتصال عن بعد . ويتضمن التلفزيون الأرضى الرقمى Digital Terrestail Television وإذاعة الراديو الرقمية Digital Radio Broadcasting بثاً مباشراً إلى المنزل عبر القمر الصناعى ، إذ تعرض خيارات كثيرة أمام المستهلك ، ويتميز هذا النظام بالقدرة على استدعاء المعلومات المساعدة وإحداث التفاعلية . وفى هذا النظام تتحسن خدمات الإنترنت بوساطة الخطوط السريعة الموجهة إلى المنازل ، وأصبح الاندماج واقعاً حتمياً بين البث الإذاعى والتلفزيونى والإنترنت ، ويتمثل ذلك فى web TV . وعلاوة على ذلك تتميز الأشكال الجديدة للتكنولوجيا الرقمية بمجموعة من المميزات أهمها [٩] :

١ - اختيار أحسن البرامج التى تتضمن المقدرة على إدخال برامج من وإلى العالم .

٢ - التفاعل الكبير بين الجمهور والوسيلة مع القدرة على التزويد الآنى والتغذية المرتدة فى البرامج .

٣ - وصول أحسن إلى المعلومات .

٤ - القدرة على إدارة الأعمال متضمنة الصفقات البنكية والشراء من المنزل .

٥ - فيديو تحت الطلب .

٦ - تلفزيون ذو مقدرة عالية High Definition TV .

وقد استقطبت مسألة الاستقبال التلفزيونى المباشر بواسطة الأطباق منذ التسعينيات اهتمام الجميع فى العالم العربى من سياسيين ومفكرين وباحثين اجتماعيين ومختصين بمجال الإعلام والاتصال . كما أثارت هذه القضية جدلاً واسعاً فى مختلف الأوساط . واتخذت السلطات فى العديد من الأقطار العربية تجاهها مواقف متباينة . ولقد حرص الباحثون دائماً على تجميع أكبر قدر من المعطيات الإحصائية المتعلقة بعدد الأطباق المتوفرة ونسبة تزايدها فى النصف الأول من العقد الحالى ، وكيفية توزيعها الجغرافى بين الريف والحضر ، منطلق لتشخيص الوضع ، إلا أن هناك مشكلة أزلية تواجه أى باحث فى مجال الإعلام فى الوطن العربى وهى عدم توفر بيانات إحصائية موثقة لاستخدامها كمادة خام فى التحليلات (١٠) .

فى البلدان التى تعتمد الحرية المطلقة فى مجال استخدام الأطباق مثل مصر والإمارات لا تتولى الحكومة حصر هذه الهوائيات . وفى البلاد التى تعتمد نظام التراخيص المسبقة مع إدارات وزارية وبلدية مثل السوادن وتونس يصعب الحصول على أرقام دقيقة لأن نسباً عالية جداً من المواطنين يفضلون التزود من السوق السوداء ويتهربون من التصريح بتجهيزاتهم لتفادى الضرائب التى تبدو لهم مشكلة . وفى البلاد التى تعتمد المنع المطلق ، لا توجد مثل هذه البيانات . إن هذه الضبابية تقف عائقاً أمام كل تحليل للوضع ، ولا يقتصر الأمر على مسألة التجهيزات واستخداماتها ، بل تتعداها لقضية تقديرات المتابعة والمشاهدة ، إلا أن الدخول المرتقب لكثير من الدول العربية فى إطار العولمة الاقتصادية وبروز العديد من المحطات الخاصة ، إضافة إلى فتح أغلبية التلفزيونات العربية الباب للإعلان كمصدر للتمويل ستحتم عليها - لا محالة - توفير حد أدنى من السهولة وسيولة المعلومات بهذا الشأن ، وذلك تحت ضغط المعلنين ولاسيما الدوليين (١١) .

وفى محاولة لرصد تطور عملية البث التلفزيونى المباشر فى العالم العربى نجد أن عملية استقبال البث المباشر عبر الأقمار الصناعية مرت منذ منتصف الثمانينيات بفترات تردد امتدت إلى المنع أو مراقبة الاستيراد وتحديد الاستعمال الجماهيرى . وهذا ما أدى إلى محدودية استقبال ما كان يفد من البرامج الأجنبية وحصره فى فضاءات الفنادق والسفارات والإدارات إضافة إلى بعض الأفراد . وترجع هذه المحدودية إلى عوامل قد يكون أهمها التخوف من سلبية تأثير المضامين فى مواقف وسلوك المشاهدين . وتعتبر سنة ١٩٩٠ موقعاً زمنياً ذا دلالة فى تاريخ اتساع الحقل الاجتماعى للتعامل مع القنوات الفضائية بواسطة الهوائيات . ولقد فسر البعض تفجر هذا الاهتمام بالحدث السياسى الذى هز العالم

إعلامياً حينما اندلعت حرب الخليج ، والذى مثل دافعاً أساسياً لاستقبال ما كان يفد من الصور عبر الأقمار الصناعية (١٢) .

وخلاصة القول إن البث التلفزيونى المباشر نتيجة حتمية لتكنولوچيا الاتصال . وقد أصبح المواطن يتنقل بيسر بين المحطات التلفزيونية دون رقابة إلا من نفسه ومن ضميره الوطنى والوازع الدينى ووفق إمكاناته الثقافية واللغوية . والبث التلفزيونى المباشر لم يعد عملية ترفيهية ، بل ضرورة قومية ، لأنه يسهل تغطية البلاد الشاسعة والتى يصعب وصول الإرسال التلفزيونى إليها بسبب العوائق الطبيعية . وتتجه كثير من دول العالم إلى الاستفادة من هذه التكنولوچيا من خلال إنشاء المحطات الفضائية ونشر ثقافتها الوطنية ومقاومة الثقافات المضادة ، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة منها فى المجالات التعليمية والتربوية والاقتصادية ، ويأتى ذلك من خلال القنوات المتخصصة .

وبالرغم من انتشار ظاهرة البث التلفزيونى المباشر فى كثيرٍ من دول العالم والاستفادة منها على نطاق واسع ، مازال العالم العربى يخطو خطوات بطيئة نحو هذه الظاهرة ، حتى أن عدد المحطات الفضائية الحكومية والخاصة لا يتناسب مع مساحة الوطن العربى وكثافته السكانية وأهميته الجغرافية والحضارية ، أضف إلى ذلك أن المضمون الإعلامى فى هذه القنوات مازال بعيداً عن اهتمامات المواطن العربى .

### ٤ - الإجراءات المنهجية للدراسة :

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الاستطلاعية ، حيث اعتمدت على مسح التراث وتطبيق استمارة استبيان على عينة من الجمهور ، فلما كانت الدراسة تهتم ببحث تأثير البث التلفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية العربية ، كان لزاماً أن نهتم بكل ما كتب عن هذا الموضوع سواء فى الدراسات العربية أو الأجنبية على السواء ، أيضاً قام الباحث بتصميم استمارة استبيان بلغت مفردات العينة فيها ١٠٠ مفردة ، تم تطبيقها على عينة من جمهور مدينة الإسكندرية ممثلة للمجتمع المصرى خلال النصف الثانى من سنة ١٩٩٨ . حرص الباحث خلالها على اختيار عينة عمدية من الذين يمتلكون جهاز الاستقبال التلفزيونى ( الدش ) ومثل مفردات عينة الدراسة ٥٤٪ من الذكور و ٤٦٪ من الإناث . وتراوحت مستوياتهم العمرية بين ٢٠ - ٢٥ سنة بنسبة ٣٠٪ ومن ٢٥ - ٣٠ سنة بنسبة ٢٦٪ و ٤٥ سنة فأكثر بنسبة ٢٠٪ . أما عن المستوى التعليمى فقد تركز معظم أفراد العينة فى فئة الجامعيين ، إذ بلغت ٤٨٪ وفوق الجامعى ٢٠٪ . وأشارت عينة الدراسة إلى تمثيل غير المتزوجين بنسبة ٥٠٪ ، بينما حصل المتزوجون على ٤٨٪ والأرامل على

٢٪ . وبالنسبة للدخل الشهرى جاءت دخول أكثر من نصف العينة بين ٣٠٠ - ٢٥٠ جنيهاً مصرياً ، ثم قلت معدلات الدخول بعد ذلك إذ نجدها ٢٢٪ عند الذين يحصلون على ٢٥٠ - ٢٠٠ جنيه .

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخى فى دراسته للبث التلفزيونى المباشر وتأثيره فى الهوية الثقافية العربية من خلال عرض تطور الاهتمام بفكرة البث التلفزيونى المباشر وكذلك الهوية الثقافية العربية . وكذلك اعتمد على النقد والتحليل لبعض الوثائق والدراسات العربية والأجنبية فى معالجة موضوع البحث . وقد استخدم الباحث المسح الاجتماعى بالعينة كطريقة فى جمع البيانات واستمارة الاستبيان أداة لتنفيذ جمع البيانات .

وأخيراً تأتى هذه الدراسة فى خمسة محاور أساسية ، تشكل فى مجموعها الإطار المنهجى لموضوع الدراسة بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة . تتناول المقدمة أهمية موضوع الدراسة وأهدافها والمفهومات الأساسية وأخيراً الإجراءات المنهجية المتبعة ثم تنتقل إلى مناقشة المحاور الأساسية ، حيث يتناول المحور الأول أهمية التلفزيون كوسيلة ثقافية من خلال مناقشة العلاقة بين الثقافة وتكنولوجيا الإعلام ودور الإعلام فى عملية التحول الثقافى أما المحور الثانى فيركز على دور البث التلفزيونى المباشر فى عولمة المجتمع إعلامياً وثقافياً ، ويأتى ذلك من خلال تحليل مفهوم العولمة وتحديد مفهوم العولمة الإعلامية وموقف التيارات الفكرية السائدة فى العالم العربى من هذه القضية . ونتناول أيضاً مفهوم العولمة الثقافية من خلال توضيح تباين وجهات النظر بشأن هذه القضية الهامة، إذ توجد آراء مؤيدة وأخرى معارضة . ونتناول أيضاً بالشرح والتحليل قضية البث التلفزيونى المباشر والهوية الثقافية العربية من خلال مناقشة خصائص الهوية الثقافية العربية وآليات اختراقها ، ونركز على تأثير البث التلفزيونى المباشر من خلال عرض تحليلات ونتائج بعض الدراسات العربية والأجنبية .

ويهتم المحور الرابع بدراسة المجتمع المصرى كنموذج لتأثير البث التلفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية العربية . ويأتى ذلك من خلال عرض نتائج الدراسة الميدانية . وتناولت نتائج الدراسة خمس قضايا رئيسية هى أنماط متابعة الجمهور للقنوات الفضائية وعاداتها . وأنماط التأثير التى يتركها البث التلفزيونى المباشر ، ثم اتجاهات الجماهير نحو عملية البث المباشر . وتتناول القضية الرابعة علاقة الظروف الاجتماعية بالهوية الثقافية . وأخيراً دور الدولة فى حماية الهوية الثقافية .

ويتناول المحور الخامس الأخير الجهود المبذولة للحفاظ على الهوية الثقافية العربية ، إذ حاولت بعض الدول إقامة استراتيجيات إعلامية تؤكد هويتها الثقافية ، وفى النهاية نختم الدراسة بمناقشة مجموعة من النتائج النظرية والتطبيقية التى خلصت إليها الدراسة ثم نزيلها بهوامش المراجع والمصادر .

## أولاً : التلفزيون وسيلة ثقافية :

يدور نقاش كثير حول الدور المتميز للتكنولوچيا فى فهم أنفسنا ، فضلاً عن فهم تاريخنا المشترك ، فالتكنولوچيا بصفة عامة ثقافية منذ البداية ، فهى تعبير عن وجهات النظر والطموحات . وفى كتاب « جميس كارى » james Caery « الاتصال كثقافة » أوضح كارى التحليلات الثقافية للتلفزيون مع تحليل العناصر البنائية والسياسية والصناعية فى تكوين الوسيلة ، ووصف التلفزيون باعتباره وسيلة تنهض على مقومات مختلفة ومتنوعة منها الاستراتيجيات والجماهير وأساليب الأداء . وتوضح تحليلاته إمكانية وجود فروع لدراسات التلفزيون تتضمن تحليلات النصوص المقدمة ودراسات عن الإنتاج وأبحاث التأثير وأخرى متعلقة بموضوعات تقنية . ويأتى ذلك ضمن دراسة سياسة التداخل الثقافى (١٣) .

وقدم « ايريك ميكلس Eric Michales » مناقشة مطولة عن العلاقة بين الثقافة وتكنولوچيات الإعلام من جانب وبين الثقافة والإبداع النصى من خلال عمل هذه التكنولوچيات من جانب آخر . فهو يفهم هذه التكنولوچيات على أنها أشكال ثقافية متلازمة . وهكذا فإن التكنولوچيا الفيزيائية نفسها يمكن أن نعتبرها أشكالا ثقافية مختلفة . وفى مقارنة بين الثقافات الشفهية والإلكترونية ذكر « ميكلس » أن معلوماته تنتشر جغرافياً عبر الأقمار الصناعية بسرعة ، وأخيراً يخلق التلفزيون سلطة غير شخصية ومعرفة أصلية (١٤) .

وكان من نتائج الثورة فى مجال تكنولوچيا الإعلام أن روجت لمفهوم القرية العالمية وسنحت الفرصة لأن نرى برامج من جميع أنحاء العالم يمكن أن تساعد فى فهمنا للعالم الذى نعيش فيه . ويستطيع التلفزيون العالمى أن يلعب دوراً هاماً فى تنمية الثقافات واحترامها ونقلها إلى المجتمعات الأخرى وتستطيع القنوات العالمية المتعددة تقديم اختيارات متعددة ومتنوعة ، وتقديم خدمات خاصة مثل قنوات الأطفال والرياضة والمنوعات والأخبار وغيرها من القنوات المتخصصة (١٥) .

وكان من نتائج الثورة فى مجال تكنولوجيا الإعلام أن روجت لمفهوم القرية العالمية وسنحت الفرصة لأن نرى برامج عن جميع أنحاء العالم يمكن أن تساعد فى فهمنا للعالم الذى نعيش فيه . ويستطيع التلفزيون العالمى أن يلعب دوراً هاماً فى تنمية الثقافات واحترامها ونقلها إلى المجتمعات الأخرى وتستطيع القنوات العالمية المتعددة تقديم اختيارات متعددة ومتنوعة ، وتقديم خدمات خاصة مثل قنوات الأطفال والرياضة والمنوعات والأخبار وغيرها من القنوات المتخصصة (١٥) .

والواقع أن تأثير التلفزيون ليس مرتبطاً بما يعرض على محطاته المتنوعة فقط ، بل وبما يتاح له إذاعته من إنتاج وسائل الاتصال الجماهيرى الأخرى . وكل برامج التلفزيون يمكن أن يكون لها أثر فى التكوين الثقافى للفرد والمجموع سواء كانت برامج للأطفال أو العائلة أو كانت برامج سينمائية أو حلقات مسلسلة أو أخباراً أو برامج متصلة بالأحداث الجارية ، وسواء كانت تمثيليات أو برامج تنشر لمجرد التسلية . بل إن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك أثرها الثقافى فى الفرد والمجتمع بطريق غير مباشر بأكثر مما تفعله البرامج والدراسات والندوات الجادة فى مجالات الأدب أو الفن أو العلم (١٦) .

وقد أصبح التلفزيون متخطياً الحواجز الجغرافية ، حيث أصبحت المحطة التلفزيونية الفضائية بكامل إرسالها فى متناول المشاهد العادى بعد أن كان الأمر مقصوراً على نوعيات من الإنتاج تشتريها المحطات المحلية أو تهدى إليها أو تتبادلها . ومن ثم بدأت تأخذ ظاهرة البث التلفزيونى المباشر مكانة هامة بين الباحثين والمتخصصين . إذ يرى بعضهم أن تأثيره على المشاهد العربى قد يكون إيجابياً وسلبياً . فمن الآثار الإيجابية أنه يجدد الثقافة الوطنية الراكدة فى بعض الأحيان بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية جديدة تتعلق بالإبداع والأداء الرفيع والإيقاع السريع مع تشجيع التبادل الحضارى ونشر التسامح الثقافى بين الأمم والشعوب . وكذلك يساهم فى تطور وسائل الاتصال المحلية وخاصة التلفزيون ، إذ تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها . ومن إيجابيات البث المباشر أيضاً اختفاء فكرة السيادة الإعلامية التى كانت تتمسك بها الدول، الأمر الذى سوف يثير قلق الحكومات الاستبدادية والنظم العنصرية .

أما الجوانب السلبية فتتمثل فى تشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأى العام وتوجيه رغبات الناس بما يتوافق مع سياسات أصحاب هذه المحطات ومصالحها فى الدول الصناعية الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة . أيضاً يستطيع البث المباشر إشاعة الميول الاستهلاكية النهمة والرغبة فى التقليد والمباهاة ، وأخيراً حقن الوجدان القومى

بقيم ومعايير وسلوكيات قد لا تتفق مع الثقافة التقليدية ، الأمر الذى يهدد النسيج الاجتماعى (١٧) .

ويمكن القول إن التليفزيون - خاصة بعد انتشار ظاهرة البث المباشر وتزايد المحطات الفضائية - أصبح يشكل محوراً مركزياً فى حياتنا اليومية ، وجزءاً من ثقافتنا ، ويعد أيضاً وسيلة تساهم فى تكامل المجتمع ثقافياً ، وقد وصف « سيلفر ستون » Silver stone التلفزيون بأنه وسيلة ساحرة معقدة مليئة بالتناقض ، كما أنه وسيلة قوية يمكن بواسطتها الوصول إلى جميع المواطنين . وقد أكدت الكثير من النظريات منها نظرية تحليل الثقافة على دور الإعلام والتلفزيون خاصة فى تشكيل الواقع الاجتماعى وتغييره . وقد اشتركت المنظورات التحليلية للثقافة مع المنظورات النقدية فى تطور أساليب جديدة لكشف تأثير الإعلام فى الثقافة وتنمية هذه الأساليب . وعملاً على تطور بناء نظرى ومتكامل . وأكدا على أهمية الإعلام فى تشكيل وجهات نظر الناس عن أنفسهم وبيئاتهم الاجتماعية . وعلاوة على ما سبق أصبح ينظر إلى التلفزيون بأنه أكثر الوسائل التى تساعد فى عولمة العالم إعلامياً وثقافياً . وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية استغلاله فى نشر ثقافتها وتعميمها مقابل طمس الثقافات الوطنية الأخرى (١٨) .

## ثانياً : البث التلفزيونى المباشر وعولمة المجتمع :

يتضح من الملابسات المحيطة بتطور التوابع الصناعية للاتصال أن هناك منابع سياسية واجتماعية للتكنولوچيا . وعلى الرغم من أن التكنولوچيا قد امتدحت لقدرتها على إحداث إثراء ثقافى مع إتاحة الفرصة لإمكانية التوصل على الفور إلى مستودعات المعلومات ، يبدو من الضرورى أن نتذكر أن الأموال التى أنفقت على البحوث الإنمائية والتى أفضت إلى تصور وإنتاج لمراكز الإرسال والهوائيات المحلقة عالياً وفرها اتحاد عسكرى تجارى أمريكى مبتغياً تحقيق أهداف عظيمة . ولم يكن هذا السعى عشوائياً يبغى إيجاد وسائل اتصال جيدة . فقد كان تطور التوابع الصناعية منذ بدايته معبراً عن الجهود الموافقة التى بذلتها شركات الاتصال الخاصة فى الولايات المتحدة لإزاحة البريطانيين عن هيمنتهم على الاتصال الدولى التى حققتها لهم سيطرتهم على الكابلات البحرية عبر القارات . وفى أوائل السبعينات تكون اتحاد دولى سمى « انتلسات » Intelesat فى الولايات المتحدة يضم الدول التى تمتلك توابع صناعية ، وسيطرت على هذا النظام منذ البداية الشركات التجارية الأمريكية الكبرى مثل RCA و COMSAT والتى تعمل فى تعاون وثيق مع وزارة الخارجية الأمريكية (١٩) .

والواقع أن سعى الولايات المتحدة الحثيث إلى السيطرة على مراكز الإرسال والهوائيات فى العالم كان الهدف منه عولمة العالم ثقافياً . وقد أعلن المحلل الأمريكى « ديفيد روثكوف » David Rothkoph صراحة النوايا الأمريكية من حيث ضرورة تولى مسئولية نشر الثقافة الديموقراطية الليبرالية الغربية وإزاحة الثقافات المحلية . وفى أطروحته فى مديح الإمبريالية الثقافية سنة ١٩٩٧ يقول : (٢٠) .

١ - إن أهم خطوة للعولمة هى إزالة كل الحواجز الثقافية ، وإن على الولايات المتحدة أن تهيمن على موجات الأثير وأن تحقق النصر فى معركة تدفق المعلومات حتى يمكن أن تكون لها السيطرة والهيمنة فى الوقت الحاضر والمستقبل .

٢ - إن كل الثقافات القومية بما تنطوى عليه من معتقدات ونظم سياسية واجتماعية وقانونية وأعراف وقيم وتقاليد وعادات ، لابد من تغييرها وفقاً لما تمليه الحاجات المتغيرة باستمرار .

٣ - إن أفول التمايزات الثقافية والقضاء على الثقافات القومية يعد مقياساً لتقدم الحضارة الإسلامية وعلامة ملموسة على تعزيز التواصل والتفاهم بين الشعوب .

٤ - إن المجتمعات ليست فى حاجة إلى أصولها التاريخية وتراثها الثقافى ، ففى الديموقراطية الليبرالية والتكنولوچيا الحديثة ما يستجيب لحاجتها المتزايدة باستمرار .

٥ - إن على جميع الدول أن تتوحد ثقافياً أو على الأقل تتشابه وأن تلغى كل مؤسساتها التقليدية وعليها أن تتقارب وتتعارف على أسس من الديموقراطية الليبرالية والسوق العالمية .

٦ - وفى النهاية يدعو إلى أن تكون اللغة الإنجليزية هى لغة الثقافة العالمية الجديدة ولغة التخاطب على الكوكب الأرضى .

وفى ظل هذا التوجه الأمريكى بشأن استغلال تكنولوچيا الإعلام المتقدمة فى فرض توجه ثقافى معين على بقية شعوب العالم ، تباينت الآراء بشأن ما يسمى « بالعولمة الثقافية » إذ انبرى بعض الباحثين للدفاع عنها ، بينما دافع آخرون عن ضرورة وجود هوية ثقافية تميز كل مجتمع عن الآخر . ولكى نفهم محتوى هذه التوجهات يجب أن نجيب على أسئلة هامة هى ما الفرق بين العولمة والعالمية ؟ وما المقصود بالعولمة الإعلامية ؟ وكيف تستطيع العولمة الإعلامية التأثير فى عولمة الثقافة . بداية لا يمكن مقارنة ظاهرة العولمة بعالمية الأديان السماوية . وذلك لأن العالمية ترتبط بالأرض والإنسان ، أما العولمة فترتبط

بالكون وأنظمة الإنسان المتنوعة سواء ما كان منها فى الأرض وما كان فى الفضاء والعالمية طموح للارتفاع بالخصوصيات إلى مستوى عالمى . أما العولمة فهى إرادة الهيمنة على العالم ، ومن ثم قمع الخصوصيات وإقصاؤها . وفى المجال الثقافى تنشر العالمية مشروعاً ثقافياً طموح ورغبة فى التبادل . أما العولمة ففيها طموح لاختراق ثقافة الآخرين وسلبهم خصوصياتهم ، والعالمية تهدف إلى الحفاظ على الهوية الثقافية ، أما العولمة فتهدف إلى تمييعها وفى العالمية الثقافية اتجاهان إرسال واستقبال . أما العولمة فتتنافى مع التعددية الثقافية . وأخيراً العالمية حركة من الداخل إلى الخارج ، على العكس من العولمة التى تأتى من الخارج إلى الداخل (٢١) .

والعولمة بالممارسة تعنى تآكل كل الحدود بين البلدان والجنسيات أو الثقافات ، وتصبح الثقافة منفصلة عن المناطق الجغرافية المحدودة ، وفى مخططات عولمة الثقافة يبدو أن أغلب سكان العالم سوف يشتركون فى مظاهر ثقافية هامة . وتتوحد اتجاهاتهم إلى حد كبير . وبينما قاومت الجماعات الحيوانية التغييرات البسيطة عبر الزمن ، لكن تعمل قوى الإنسان ضد تماسك الجماعات الاجتماعية والأمم ، وسوف تتغير أشكال التجارة التقليدية والاتصال بين المجتمعات ، وتحل محلها أنماط قومية للسلوك أو الثقافة من خلال نماذج عالمية . وتعنى العولمة نمو التكامل فى الأسواق الدولية للبضائع والخدمات ، وتذهب أبعد من ذلك لتشمل التحولات فى الاقتصاد والصناعة والمال . ونتيجة للانتشار الواسع لعولمة الاتصال وتسهيلات السفر ، تزايد بسرعة تدفق الهجرات فى العالم الأفقر إلى العالم المتقدم ليروا التناقض بين حياتهم وحياة الشعوب التى ذهبوا إليها (٢٢) .

ويستدل مما سبق أن عولمة الاتصال مرحلة تمهيدية لعولمة الثقافة . إذ لا يمكن فرض ثقافة معينة دون الأدوات الأساسية التى تساهم فى نشر هذه الثقافة . ولذلك فأحرى بنا أن نعرض بداية الآليات المستخدمة فى عولمة الإعلام . إذ توجد دلائل تؤكد أن التحولات الاجتماعية والثقافية تأخذ فترات طويلة وتتم على مراحل متعددة . وهكذا بالنسبة للعولمة، فالتغيير فيها يتم على مراحل ، مما يحدث نوعاً من التداخل الواضح بين الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية . وإذا أردنا أن ننظر فى مراحل هذه العملية وجدنا أن الإعلام يدخل فى كل مرحلة من مراحلها ، فهو المبشر لها والمروج لأفكارها وهو الذى يقوم بنزع الأفكار السابقة وزرع الأفكار الجديدة .

### العولمة الإعلامية Media Globalization :

المتتبع لتحديد مفهوم عولمة الإعلام يجد أن المناقشات فى هذا الصدد انحصرت بين تيارين أساسيين الأول يؤيد بحماسه ودون تحفظ عولمة الإعلام ، ويبرز إيجابياتها

باعتبارها تدعم مبدأ التدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال ، وتوفر للجمهور فرصاً غير محدودة لحرية الاختيار بين وسائل الإعلام والمعلومات . وفى إطار هذا الاتجاه تباينت المداخل والرؤى : فهناك أصحاب المدخل التكنولوجى الذين يصرون على أن التقدم التكنولوجى السريع والمستمر فى مجال الإعلام والاتصال يحدث نقلات ثورية فى بعدى المكان والزمان وما يرتبط من خبرات اجتماعية . وهناك أصحاب مدخل ما بعد الحداثة ، وبعد أشهرهم « انطوني جيدنز » الذى يعتبر عولمة الإعلام باعتبارها الامتداد أو التوسع فى مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه ، وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافى ، وأكد « جيدنز » أن وسائل الاتصال التكنولوجية جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية ، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد . وأخيراً ينظر أصحاب الليبرالية الجديدة إلى عولمة الإعلام باعتبارها مزيداً من التركيز فى ملكية وسائل الإعلام والتكامل الرأسى والتكنولوچيا الجديدة وتخفيف القيود (٢٣) .

أما التيار الثانى فيعارض بشدة عولمة الإعلام ويرفض ما يقال عن إيجابياتها . وينظر إليها باعتبارها نفياً للتعدد الثقافى واعلاء لقيم الربح والخسارة وآليات السوق فى مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات ، علاوة على الاعتداء على حرية وسائل الإعلام والحق فى الاتصال وتفويض سلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات ، ويمثل هذا الاتجاه « هربرت شيللر » صاحب الإسهامات المتميزة فى الامبريالية الثقافية ، ويرى فى عولمة الإعلام أسلوباً يدفع إلى التوسع العالمى لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس أو تزيل الهويات القومية أو الوطنية . وفى الإطار نفسه يرى « تشو مسكى » أن عولمة الإعلام هى الزيادة الضخمة فى الإعلان ، ولا سيما عن السلع الأجنبية وتكريس ملكية وسائل الإعلام الدولية ، ومن ثم انخفاض التنوع والمعلومات مقابل الزيادة فى التوجه للمعلن (٢٤) .

ويبدو أن أصحاب التيار المؤيد لعولمة الإعلام فى ازدياد ، إذ شهدت أوربا خلال الثمانينيات دراما مثيرة حول إعادة بناء الرؤية الإعلامية ، خاصة بعد ظهور التلفزيون التجارى والتسوق التجارى العالمى . وقد جلب ذلك انخفاضاً نسبياً لأهمية الإذاعة العامة. وقد ركزت أدبيات متعددة على مفهوم التكتلات العالمية Global Conglomerates حيث سيطر هذا المفهوم على وسائل الإعلام ، وأصبح المتحكمون الرئيسيون فى العالم على نطاق واسع من أصحاب الشركات الخاصة . وأخذ التركيز فى

وسائل الإعلام على الملكية ، وارتبط ذلك بالطبع بالقوى الاقتصادية وقد أثر المالك الفرد على الحقيقة الاجتماعية المنقولة عبر وسائل الإعلام الخاصة ، ولكن هذا ليس معناه أن المشاهد مستسلم سلبى . وقد أصبح المضمون الإعلامى يقدم نفسه باعتباره شكلاً عالمياً من الترفيه مثل الإعلانات والمباريات الرياضية والأفلام ، حيث تنتج على مستوى العالم وتعكس نوعاً واحداً من المجتمعات ، وما يتم إنتاجه فى بلد واحد يصدر بقوة عبر شبكة معقدة من التوزيع والتعاون والاتفاق مثل مسلسلات « دالاس » (٢٥) .

وكما حدث بالنسبة للإذاعة والتلفزيون توجد دلائل تشير إلى أن العولمة فى مجال السينما أخذت خطوات كبيرة ، فقد ارتفعت حصة الولايات المتحدة من الأفلام المنتجة التى شوهدت فى دور سينما الاتحاد الأوربى ووصلت النسبة إلى ٧٦٪ سنة ١٩٩٥ بعد أن كانت ٥٦٪ سنة ١٩٨٥ . ويؤكد « فرانك وبستير » F Webster بأن سنة ١٩٩١ جاء فيلما « الرقص مع الذئاب » و « صمت الحملان » ليحتلا المرتبة الأولى فى ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا واستراليا والولايات المتحدة . ويوجد تعاون على التوزيع وملكية استديوهات التلفزيون ودور السينما ومحطات التلفزيون وتوزيع الفيديو الطباعية والوسيلة الطباعية والراديو والخدمات المتعددة الوسائط (٢٦) .

نخلص مما سبق إلى القول بأن عولمة الإعلام أصبحت من القضايا التى يدور بسببها جدل كبير بين الباحثين والمهتمين بقضايا الإعلام والسياسة والثقافة . وقد وجدنا مؤيدين وآخرين معارضين لها . ويرى المؤيدون فيها تدعيماً للتدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال، بينما ينظر إليها المعارضون باعتبارها نفياً للتعدد الثقافى واعتدادا على حرية وسائل الإعلام وتفويضاً لسلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات . وبغض النظر عن الاتجاهات المؤيدة والمعارضة لعولمة الإعلام ، هناك حقيقة مؤكدة هى أن الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصال والمعلومات سوف تشكل عاملاً أساسياً فى نشر العولمة ، بالاضافة إلى تنامى دور الشركات المتعددة الجنسيات فى مجال الاقتصاد والإعلام وتراجع دور الدولة فى النظام الإعلامى الجديد وخصوصاً فى مجال البث الإذاعى والتلفزيونى .

أما عن موقف العالم العربى من قضية العولمة الإعلامية ، فواضح أن هناك قصوراً فى ملاحقة العالم الخارجى ومواكبة هذه المستجدات العالمية ، إذ يوجد ضعف فى الهياكل التمويلية والفنية للقنوات الفضائية ، الأمر الذى قد يؤدى إلى اختفاء عدد كبير من هذه القنوات أو اندماجها . بالإضافة إلى ضعف المؤسسات العربية أمام الشركات العالمية ، علاوة على زيادة نسبة الاعتماد الخارجى من المواد الإعلامية وقصور الإنتاج المحلى فى

مجال الإذاعة أو التلفزيون أو السينما على السواء . ومن هنا يجب التأكيد على أن العالم العربى يجب أن يتحرك نحو عولمة إعلامية تتجه إلى اهتماماته الوطنية والحفاظ على خصوصية الثقافة وتنعكس إيجاباً على مواطنيه .

### ٣ - العولمة الثقافية Cultural globalization :

إذا كان هناك إجماع حول مفهوم العولمة الاقتصادية أو الإعلامية ، فإن ذلك غير صحيح بالنسبة لمفهوم العولمة الثقافية . فالعالم ليس موحداً ثقافياً كما هو موحد تجارياً ومالياً ، كما أنه لا وجود لنظام ثقافى عالمى ، كما يوجد نظام اقتصادى عالمى . لذلك تتخوف كثير من الشعوب من العولمة الثقافية . وبالرغم من هذا الموقف المتردد والتخوف الملحوظ الذى يغلب عليه فى أغلب الأحيان الطابع العدائى للعولمة الثقافية كايديولوجية جديدة ، تظهر الثقافة ميلاً واستعداداً واضحاً للعولمة والتعولم . ويعود ذلك إلى أن الأفكار والقيم والمفاهيم تحمل فى طياتها بذور العولمة ، بمعنى الاستعداد للانتشار الحر من دون قيود ، بل إن الديانات السماوية والأيديولوجيات الرئيسية تتوجه عادة إلى كل البشرية ولا تكثرت لحدود الدول أو التجمعات القومية أو الإثنية . ولا شك أن الأديان والأيديولوجيات هى من أهم مظاهر العولمة الثقافية (٢٧) .

والعولمة الثقافية تتضمن بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والقيم والأذواق على الصعيد العالمى . وقد فقدت الدول فى ظل العولمة القدرة على التحكم فى تدافق الأفكار والقيم فيما بين المجتمعات والأجيال. وفقدت الدول السيطرة على التعاون الحر للأخبار والمعلومات . والذى يتم عبر وسائل وتقنيات جديدة لم تبرز إلا فى التسعينيات ، ولقد أصبح ملايين البشر موحدين تلفزيونياً ومن خلال البريد الإلكترونى وشبكات الإنترنت . وفى ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمى ويتعرف على هويته الإنسانية أكثر من أى وقت آخر . ولكن بروز الهوية العالمية فى ظل العولمة لا يعنى تلقائياً تراجعاً أو نفياً للهوية الوطنية للفرد فستبقى الهوية الوطنية ، لكن بجانبها ستنمو الهوية الإنسانية والمواطنة العالمية (٢٨) .

وتأكيداً لوجهة النظر السابقة بأن العولمة لا تهدد بالفناء أو التذويب ، نشير إلى نموذج المهاجرين ، فهؤلاء لم يعد كافياً أن نصنفهم مثل السابق تحت مصطلح الإنسان الهامشى ، ولكنهم يوصفون إيجابياً بالمزدوجين . فأوربا التى كرست فكرة الدولة الوطنية وروجت لفكرة الغرب والباقى ، وجدت نفسها فى حالات كثيرة مجتمعات متعددة الثقافات . وهناك آراء تنفى دور العولمة فى تغيير الثقافات ومثل هذه النظرة تؤكد الرأى

القائل إن شكل العالم فى عملية العولمة هو أقرب إلى الشبكة منه إلى الهرم ، ومن ثم نجد الجار المكانى أو الجغرافى فقط . فالهويات الثقافية تصبح قابلة أكثر للتفاعل فى زمن العولمة بسبب خصائصها النفسية . وكندا على سبيل المثال تؤكد عملياً احترام التنوع الثقافى ، كما أن الولايات المتحدة التى كانت تقدم نفسها كمعهد أو بوتقة للثقافات تنازل أهلها عن هذا الوصف لمجتمعهم . وأصبحوا أكثر واقعية فى وصفه وأكثر دقة باستخدامهم عبارة Salad Pool أى المجتمع المكون من مجموعات أو جماعات ذات انتماءات أو هويات مختلفة فى اللون والثقافة والدين ، ولكنها متعيشة وتشارك جميعها فى اتخاذ القرارات ، وكل منها يعيش حياته الخاصة من تقاليد وعادات وأزياء وطرق مأكل ومشرب واجتماع . فهناك مثلاً عرب ويهود وفرس وهنود وطليان لكنهم جيمعاً فى الحياة السياسية مواطنون متساوون فى الحقوق (٢٩) .

وفى مقابل التوجه الذى يؤكد أهمية العولمة الثقافية وضرورتها لشعوب العالم ، نجد بعض المفكرين والمحللين الذين يرون أن هناك عشرات الأسباب التى تدفع إلى القول باستحالة قيام ثقافة واحدة محل الثقافات القومية لعدة أسباب أهمها أنه مهما تقاربت الشعوب فى كل المجالات والميادين ، يبقى الاختلاف دائماً خاصة فى الجانب الثقافى للحفاظ على تماسكها . وعلاوة على ذلك تعانى الثقافة التى يراد أن تكون ثقافة العالم ونعنى بها ثقافة الديموقراطية الليبرالية - خاصة فى المجتمع الأمريكى - العديد من عناصر الضعف فيها ، إذ تنطوى على قيم وأخلاقيات مادية فى جوهرها وأهدافها . وثقافات الشعوب ضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، ولا يمكن إقتلاعها مهما كانت قوة آليات المسخ والتشويه لأنها متشعبة متشربة لثقافتها القومية (٣٠) .

وبعد أن تعرفنا التباين الفكرى بشأن قضية العولمة الثقافية ، يدور سؤال هام هو ما موقف العالم العربى من هذه القضية الشائكة ؟. والواقع أن الإجابة على هذا السؤال تفرض علينا أن نرجع إلى الوراء ، لنجد أن جذور علاقة العرب بالعولمة مرت دائماً بحالة من الصراع والاحتكاك والتفاعل المستمرين تاريخياً ، وأخذت أشكالاً متعددة تتراوح بين التبادل الثقافى والحروب الصليبية ، وفضلاً عن الاستعمار الغربى والهيمنة الرأسمالية الغربية . ومن هذا المفهوم يمكن فهم العولمة وتحليلها ، ومن ثم التعامل معها . إذن العولمة ليست ظاهرة جديدة . وفى هذا الصدد توجد لدينا وجهات نظر بشأن موقف العرب من هذه القضية ، يمثل الأولى الأمريكان العرب ، ونستنتج الثانية من دراسة الفكر العربى الإسلامى .

أما الأولى فنجد أن الأمريكان العرب يحتلون موقعاً فريداً فى سباق العولمة ، فهم يمشون فى محور التغيرات السريعة التى تأخذ مكاناً فى عالم اليوم ، وفى الوقت نفسه يرتبطون عاطفياً بدرجة كبيرة ببلدانهم الأصلية . وعلاوة على هذا ازداد الارتباط بمنتجات العولمة مثل تكنولوچيا الاتصالات المتقدمة ، إذ عملت على نقل قوى العولمة إلى بقية دول العالم ، وعملت أيضاً على تقوية الارتباط باللغة والثقافة والأعراف بين الأمريكان العرب ومواطنهم الأصلية . وهناك اعتقاد بأن الأمريكا العرب من خلال موقعهم الممتاز الذى يضعهم فى مفترق طرق ، قادرون على لعب دور بناء فى الحوار الذى يدور الآن فى العالم العربى عن العولمة ؛ فلديهم وجهة نظر متميزة يمكن أن تساهم فيما يتعلق بتأثيرات العولمة على العرب ، وما أفضل الطرق للاستفادة منها وكذلك تجنب مظاهرها الأكثر ضرراً . وذلك بشكل آنى وبسبب تأثيرهم داخل المجتمع الأمريكى المتعدد الثقافات ، وهذا يجعلهم أيضاً فى موقع ممتاز للاتصال بالغرب . والأمريكان العرب مع قليل من التنظيم يمكن أن يجلبوا بعضاً من فوائد العولمة ، فالفرص الآن متاحة ، إذ يستطيعون التأثير فى الرأى العام لصالح العرب فى صراعهم مع إسرائيل . وأخيراً يلعب الأمريكان العرب دوراً هاماً فى فهم العقلية الأمريكية ولذلك يمكن أن يستخدموا كقناة فعالة ( مؤثرة ) لحمل الرأى العام الأمريكى على التجاوب مع العالم العربى [٣١] .

أما وجهة النظر الثانية فى موقف العرب من قضية العولمة قد تستخلصها من خلال إعادة قراءة الفكر الإسلامى باعتباره الموجه الرئيسى للشعوب العربية . فقد حاول الفكر الإسلامى الحديث إثبات قضيتين : شمولية الإسلام وإنسانيته المنفردة مقابل التأكد على أزمة الحضارة الغربية بسبب الإفراط فى المادية والبعد عن الأخلاق والقيم . وفى ضوء ذلك يقدم المسلمون مشروعهم الحضارى الذى يعتبرونه صالحاً لكل زمان ومكان . ويقدمون عالمية الإسلام التى يجب أن تتشابك مع عولمة الغرب حسب التصور الإسلامى [٣٢] .

وبعد عرض وجهات النظر المتباينة بشأن عولمة الثقافة ، يمكن القول بأن هذه القضية ليست وليدة الساعة ، بل هى قديمة منذ فجر التاريخ ، إذ حاولت الثقافات القوية طمس الثقافات الضعيفة وقد انهارت بالفعل ثقافات عديدة ، فنيت من على وجه التاريخ . وما يحدث اليوم تكرار لما حدث بالأمس ، لكن بأدوات جديدة ومسميات مختلفة . وعولمة الثقافة لا تعنى مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات ، بل هى مظهر من مظاهر نشر الثقافة الاستهلاكية على نطاق عالمى فى كافة المجالات وعلى مستوى العديد من الفئات ؛ فقد انتشرت ثقافة الوجبات السريعة والمشروبات الغازية ، والأغانى الشبابية الراقصة

وملابس الماركات العالمية ومشاهدة الأفلام المثيرة ، ودون شك تسعى هذه الثقافة إلى ربط العالم بقيم وعادات معينة تتجاوز الحدود الجغرافية والمعتقدات الراسخة . وفى ظل هذا التوجه ، يجب على العرب إعادة قراءة الفكر الإسلامى وغرس القيم الإسلامية ونشر التعاليم الدينية ، ونبذ كل ثقافة تدعو إلى المادية أو تشويه معتقداتنا . وتستطيع الأمة العربية من خلال إعادة منظومة ثقافية واحدة تشترك الأجهزة الرسمية والشعبية فى تنفيذها ، أن تتجاوز هذه المرحلة أو على الأقل تحد من مخاطرها .

## ثالثاً : البث التلفزيونى المباشر والهوية الثقافية العربية :

تتعرض الثقافة العربية شأنها فى ذلك شأن الثقافات الحضارية فى العالم إلى عملية تهجين قوية جديدة قائمة على استخدام وسائل الإعلام الجماهيرى الأمريكى . ولم يحدث فى التاريخ من قبل أن توفرت أدوات التكنولوجيا الضرورية لعملية الغزو وانحطاط الثقافة العربية وغيرها من ثقافات العالم بالشكل الذى هى عليه الآن . وتتركز أدوات التكنولوجيا العالمية المتطورة فى أيدى عدد صغير من الشركات الأمريكية بشكل رئيسى. وقد أصبحت هذه الشركات تشكل مراكز أو تكتلات متخصصة فى المجال الإعلامى والثقافى . ولقد قامت هذه الشركات الأمريكية المتعددة الجنسية بتدويل صناعة الثقافة الجماهيرية (٣٣) .

وتسعى الولايات المتحدة لتسليط الضوء على الثقافة الأمريكية باعتبارها نموذجاً لثقافة عالمية يجب أن تنتشر عبر شبكات الاتصالات الدولية دون أية عوائق من أى مكان. وتشير هذه العمليات إلى منطق يفترض أن الثقافة القومية ( الوطنية ) - مثل الثقافة العربية ، تشكل عقبة أيديولوجية أمام أى تغيير أساسى يسعى إليه النظام الرأسمالى العالمى . وفى هذه الحالة يبرز سؤال قديم ، ولكنه الآن يفرض نفسه بقوة بسبب طبيعة التقدم التكنولوجى والعولمة وهو : كيف تستطيع الثقافة العربية الوقوف أما الغزو الثقافى الغربى الذى أصبح منتشراً بازدياد فى العالم المعاصر ؟ وكيف الحال اليوم ونحن فى بداية القرن الحادى والعشرين الذى اختلفت فيه الأحوال عن القرن الماضى .

وفى الصفحات التالية نحاول الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها من خلال مناقشة خصائص الهوية الثقافية العربية وآليات اختراقها ، وأخيراً نتناول تأثير البث فى الهوية الثقافية العربية ، وذلك من خلال التحليلات الأمبريقية والدراسات النقدية فى هذا الصدد .

### ١ - خصائص الهوية الثقافية العربية :

أصبح الحديث عن الهوية الثقافية العربية أمراً ضرورياً وذلك لما آلت إليه أحوال الأمة العربية ، ونشئتها وضياع معالم القوة الذاتية ، مما جعلنا نتيه فى عالم متفاوت الاتجاهات والرغبات ، تتنازعه قوى السيطرة والأيديولوجيات الإستعمارية ، حيث تسعى كل جهة لطمس حضارات الشعوب وثقافاتها . وقد حاول الاستعمار فرض التجزئة على عالمنا العربى بقوة البطش ، فتوزعت الدول التى حظيت بالسيادة الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية عالمنا العربى . ونتيجة للنضال المرير الذى خاضته الشعوب العربية من أجل الحرية والاستقلال لجأت هذه الدول إلى وسيلة أشد إيلاماً وأكثر فتكاً ، إذ سيطرت على منابع الفكر والثقافة العربية والإسلامية (٣٤) .

والحديث عن الهوية الثقافية العربية ليس وليد اليوم ، بل بدأ الاهتمام بها بعد انهيار الامبراطوريات الكبرى مثل الامبراطورية الرومانية ونشوء الوحدات الأوربية ، وكذلك انهيار الامبراطوريات العثمانية ونشوء دولة البلقان ، وتشكيل الوحدات العربية ووضع الحدود الحضارية النهائية بين الشرق والغرب ، وأخيراً تفكك الامبراطوريات الاستعمارية ونشوء الوحدات الأفريقية وغيرها من المستعمرات القديمة (٣٥) .

وإذا حاولنا تحديد المعنى الحرفى لمفهوم الهوية العربية ، نجد بداية أن مصطلح « عرب » يشير إلى أولئك الذين يتكلمون بوضوح العربية . واستخدام المصطلح المقابل له فى الماضى « عجم » ليشير إلى الأفراد الذين يفتقدون التمييز فى أنماط حديثة . والتعريف القديم هو أن العرب هم الناس الساميون بشبه الجزيرة العربية فى فترة ما قبل الإسلام . ومازال هذا التحديد يستخدم حتى الآن . وقد عرف هذا التعريف عند اليونانيين بل وانتشر فى شبه الجزيرة العربية بالرغم من أنه ليس كل الناس هناك فى ذلك الوقت كانوا يتكلمون العربية . وتطور التعريف مؤخراً بعد ظهور الإسلام حيث جذبت الطبيعة القدسية للإسلام عدداً كبيراً من العرقيات من الجهات المجاورة ورغبوا فى تعلم العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم (٣٦) .

ويوجد ارتباط وثيق بين الهوية الثقافية العربية والهوية الثقافية الإسلامية . فالثقافة العربية واحدة من بضعة ثقافات قومية انتشرت بظهور المسيح وانتشار الإسلام . وعلى أية حال كانت الثقافة العربية هى المستودع الرئيسى للفكر الإسلامى ، بل مازالت حتى اليوم ؛ فالعرب هم أول من آمنوا بالإسلام وساهموا فى نشر رسالته إلى العالم ، فالإسلام رسالة عالمية تناشد الناس البعد عن العنصرية ورفض الظلم الاجتماعى . وكانت

الشخصية الثقافية والعقلانية للعرب تتوافق مع هذه المبادئ الإسلامية . ولذلك كانت الرسالة الإسلامية مصدر جذب للناس فتسابقوا إليها وتعلموا العربية وقرأوا القرآن الكريم ودرسوه . وقد ازدهرت الدعوة الإسلامية فى القرون الستة الأولى لانتشار الإسلام حيث طور المسلمون دراسات حول القرآن الكريم وعلم اللغة واستفادوا من شتى مجالات المعرفة الإنسانية التى انجزتها الحضارات السابقة ، واستطاعوا ترجمة ما وقع بين أيديهم فى هذه المجالات إلى العربية ، بل وابتكروا بعض الدراسات الهامة فى العلوم النظرية والتطبيقية وجلوا التعليم وعلموا أولادهم المسلمين وغير المسلمين وازدهرت الجامعات ومختبرات البحث عبر الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وأوربا المسلمة (٣٧) .

وكان العرب باحثين جادين فى مجالات المعرفة كافة ، لكن ما الذى كان يحفزهم على ذلك ؟ أنهم كانوا ذوى خلفيات اثنوجرافية متعددة ، جاءوا معاً تحت مبدأ عالمية الإسلام وعقلانيته وبحثوا فى كل مجالات المعرفة الدينية وحسب ، فكانوا أعضاء فى الجماعة العلمية الإسلامية ولهم رؤية مشتركة نحو العالم . ويتمتعون بثقافة مشتركة . وهم جزء من ثقافة عامة . وعلاوة على ذلك كان العرب رياضيين وفلكيين وصيادلة وأطباء وجغرافيين وفيزيائيين وفلاسفة ومؤرخين وشعراء وفقهاء . وعلى سبيل المثال فقد ولد بينهم ابن حيان والخوارزمى وابن رشد والكندى وابن الهيثم وابن يونس والمتنبى والبحرينى والبيرونى وسيبوية والفرهيدى ، وآلاف آخرون سعوا إلى رؤية الإسلام بشكل صحيح من خلال تحرير العقل (٣٨) .

وتتميز ثقافتنا العربية بميزتين رئيسيتين هما العروبة والإسلام . ومن المهم أن نميز بوضوح ونفهم هذين البناءين التوأمين فى خلفيتنا . ولسوء الحظ الكثير منا لديه أوهام وأفكار مغلوطة بشأنهما وما تصحح هذه الأوهام عن أنفسنا فلا يجب أن نلوم الآخرين فى إساءة فهمنا . وثبت القرآن الكريم وأدبنا العربى التداخل الحميم لتقاليدنا الروحية والأدبية فى تراثنا العربى والإسلامى . والأصوب أن ننظر بعمق كيف تتشابك الثقافة العربية والثقافة الإسلامية ، لنجد من الصعب أن نفصل الاثنين تاريخياً أو عقلانياً . وقد نتج عن إساءة فهم التكامل الأساسى بين العروبة والإسلام باعتبارها هما المحددين الأساسيين للهوية الثقافية - غياب الانسجام فى فهم أنفسنا ، الأمر الذى أدى إلى إضعاف مقدرتنا على رسم الخبرات العربية الايجابية وفشلنا فى تقديم الشكل الصحيح لحياتنا العربية (٣٩) .

وإذا ما حاولنا تحديد هويتنا الثقافية تحديداً دقيقاً ، وجب التركيز على إبراز تراثنا والتحقق فيه . لننشل أعمال فنانينا ومهندسينا المعماريين وموسيقيينا وكتابنا وعلمائنا وانتشال الأعمال المادية وغير المادية المعبرة عن قدرات أجدادانا الإبداعية مثل اللغات بما فيها من ترجمة وتفسير وآداب ومُثُل والآثار التاريخية التى تركوها فى مختلف المجالات. ويجب أن نقتنع بأن الذاتية الثقافية الواضحة والمتميزة هى المنطلق الأساسى للعطاء الثقافى والمشاركة الإيجابية والتعاون البناء المستمر ، وعلماً بأن تحديد هذه الهوية سيسهل علينا عملية الممارسة الكاملة للسيادة على وطننا ويدفعنا لرفض العزلة والتسلط الاستعمارى ولتحقيق هذا الهدف هناك عدة اعتبارات أساسية يجب مراعاتها هى [٤٠] .

١ - رعاية المفكرين والمبدعين وتأكيد مكانتهم فى المجتمع تذليل ما يعوقهم من مصاعب .

٢ - تعاون أجهزة الثقافة والتعليم والإعلام والتقنية فى الدول العربية لدراسة هذه الهوية واخراجها إلى حيز الوجود .

٣ - توفير الأمن الثقافى الدائم من خلال ايجاد حالة من الاكتفاء الذاتى عن طريق ايجاد مراكز البحث ومصادر الدراسات ووسائل النشر وتوفير مصادر التمويل الخاصة بمشروعات التنمية الثقافية وتوضيح الهوية الثقافية .

وخلاصة القول أن الهوية الثقافية العربية تضرب بجذورها إلى آلاف السنين ، وقد ظلت متنامية عبر الزمان والمكان بالرغم من تعاقب المستعمرين والدخلاء على أراضينا ، وتميزت عن بقية الثقافات بالشمول ، حيث ظهرت فيها العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وازدهرت فيها فنون الآداب وأظهرت بعداً عالمياً هاماً هى أنها ثقافة عالمية وموجهة إلى جميع البشر لأنها تستمد أصولها من الدين الإسلامى ، علاوة على ذلك لم تبق الثقافة العربية جامدة ، بل تطورت واستطاعت مواكبة جميع العصور ، وظلت راسخة يتناقلها الأجيال ويتربص بها الأعداء . ولذلك تعرضت لمحاولات اختراق عديدة ، وأصبحت الدول الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة مشغولة بمحاربتها والنيل منها .

### ٢ - آليات اختراق الهوية الثقافية العربية :

جسدت تكنولوجيا الاتصال المعاصرة أو الموجه الثالثة الجديدة - على حد تعبير الفين توفلر - احتياجات الإنسان المعاصر ، الذى يرتبط بنظام اقتصادى واجتماعى وثقافى جديد . ومعنى هذا أن النظام الإعلامى العالمى الجديد ينتج حسب الطلب ، منوعاً صور

منتجاته ومرسلاً عروضاً وأفكاراً ورموزاً مختلفة لشرائح سكانية معينة ولفئات عمرية ومهنية ولمجموعات عرفية أو اجتماعية مستهدفة . ويعد هذا التنوع الجديد والمتطور للإعلام تكنيكاً ومضموناً ؛ أمراً ضرورياً (٤١) .

والهوية الثقافية العربية شأنها شأن بقية الهويات الثقافية فى كثير من دول العالم الثالث ، لم تسلم من مخاطر هذه التكنولوچيا الإعلامية المتقدمة . ولقد أصبح التوجه الجديد فى المجال السياسى والتكنولوچى للعالم الثالث مجهزا للولايات المتحدة لتستفيد من أدواته الهائلة . واستطاعت أن تسلط الأضواء على نماذجها وأيديولوچياتها الثقافية والاقتصادية ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية ، وتستغله أيضاً فى التجارة الدولية وشبكات الاتصال . وأصبحت ثقافة الشعب الأمريكى مع ليبراليته واتجاهاته هى المسيطرة من خلال الفيلم السينمائى والمواد التلفزيونية والاتصالات الألكترونية (٤٢) .

وفى كتابه الاعلام والأمريكان ( The Media are American ) قدم ( جيرمى تانستول Jeremey Tunstall ) سنة ١٩٧٧م وصفا مقنعاً للطريقة التى يتبعها متعهدو تصدير الإعلام الأمريكى ، فقد طوروا استراتيجياتهم لخلق جاذبية عامة له . وأوضح أيضاً « تانستول » كيف نجحت هذه الاستراتيجية دولياً فى مواجهة المنافسات العالمية من قبل فرنسا وبريطانيا مثلاً . لقد عرف متعهدو تصدير الثقافة الأمريكية قوة تكنولوچيا الاتصال الجديدة منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ولكن لم يكن هناك فكرة واضحة لكيفية استخدامها أو الاستفادة منها ، ونظر معظم رجال الصناعة الكبار إلى الإعلام على أنه لا يزيد عن كونه مشروعاً بسيطاً يمكن النظر فيه كثيراً ، وكان قليل منهم الذين أرادوا استثمار نقودهم فيه لخلق صناعات قادرة على البقاء . ودارت أسئلة مثل : كيف يمكن للرسائل المذاعة على الهواء من خلال صور متحركة بيضاء وسوداء على شاشة أن يستفاد منها ؟ وكيف يمكن كسب ربحها ؟ وهل سيدفع الناس بالفعل مقابل رؤيتهم وسمعهم لهذه الأشياء ؟ وكيف يمكن تنظيم الصناعات التى تقوم بتصنيع المنتجات الثقافية وتسويقها ؟ لقد فشلت معظم المحاولات الأولى للإجابة على هذه الأسئلة ، ولكن بالجهد والتجربة نمت استراتيجيات جديدة (٤٣) .

وتعتبر الهيمنة الاعلامية التى تمارسها الولايات المتحدة أحد مظاهر آليات اختراق الثقافات الوطنية ومن بينها الثقافة العربية . وتنفق الولايات المتحدة سنوياً على أساليب الدعاية من أجل ترويج ثقافتها حوالى ٢٥٠ مليار دولار . وأنشأت محطة البث التليفزيونى N T V للقيام بهذه المهمة على مستوى العالم . كما أنها تبث الصور المنحرفة

والموسيقى والفنون التى تدغدغ الأحلام وتقدم الاعلانات التى تقوم على الخدع والحيل السينمائية مقابل الحصول على مبالغ طائلة ، حيث إن الستين ثانية فى اعلان تليفزيونى واحد عابر للقارات يتكلف فى المتوسط ما يتكلفه فيلم سينمائى فى أوربا (٤٤) .

وتمارس الولايات المتحدة أيضاً الهيمنة الاعلامية من خلال تحكمها فى معظم مواد وتجهيزات الصناعة التقليدية للاعلام مثل الورق والحبر وآلات الطباعة والتصوير . أيضاً تعتبر جميع تجهيزات المعلوماتية والحاسوبية وغزو الفضاء وبنوك المعلومات تحت سيطرة الولايات المتحدة . واخيراً تتركز معظم مصادر البث الاعلامى والأقمار الصناعية ومواد تصنيعها فى يد الولايات المتحدة أيضاً ، وتستطيع مراكز البث والتصنيع بث الأخبار والمعلومات التى تناسبها والتحكم فى الأفكار والأذواق والأزياء والانتشار الأدبى واللغوى وأن تشكل صورة العالم بما يوافق مصالحها (٤٥) .

وتعد أشكال الهيمنة الاعلامية التى تمارسها الولايات المتحدة أحد مظاهر الإمبريالية الثقافية ، والأخيرة تعنى سيطرة احدى الثقافات على الأخرى . ولذلك تفهم هذه الإمبريالية فى ضوء عبء ثقيل لإحدى الثقافات القومية على الأخرى . وينظر إلى الإعلام باعتباره المركز أو المحور لهذه العمليات ، لأنه ينقل المعانى الثقافية التى تتغلغل وتنتشر بين الشعوب التابعة . والتليفزيون على سبيل المثال تتم بواسطته عمليات الانتاج الثقافى والأنشطة الاقتصادية لانتاج السلع وتسويقها . ولذلك فالإمبريالية الثقافية جدلياً هى مقدمة تسبق الامبريالية الاقتصادية ، وهذا يؤكد أن الامبريالية الثقافية مجموعة من العمليات الثقافية والاقتصادية التى تظهر فى اعادة انتاج الرأسمالية العالمية (٤٦) .

وقد حاول كل من ( دور فمان Dor Fman و ماتليرت Matelart ) سنة ١٩٧٥ أن يقدما نموذجاً للإمبريالية الثقافية فى تحليلاتها لعالم ( والت ديزنى Walt Disney ) وقد هدف المؤلفان إلى تحديد القيم من خلال عالم والت ديزنى ، وأن يثبتا الافتراضات الأيديولوجية التى تخدم الإمبريالية الأمريكية بواسطة حث الناس على اتباع الطريقة الأمريكية بإعتبارها الأحسن . وقد ابتكر « دورفمان وماتليرت » النظريات الإيديولوجية التى تتضمن الطباع الثقافية والعنصرية لشعوب العالم الثالث وصورة الدول النامية ، وانتظار الثروة من المكتشفين الغربيين ، وارتفاع الاستهلاك بين المستويات العليا من الأشخاص الطامحين ، وجعل الرأسمالية أمراً محتوماً وضرورياً . وتعتبر هذه النظرية منفذاً تدخل منه الولايات المتحدة للهيمنة على دول العالم الثالث ، بالإضافة إلى ذلك يساهم التليفزيون فى الإعلان عن استيراد السلع الاستهلاكية مثل الكوكاكولا مع ذكر

الثناء والمديح للحياة الجميلة التى تعيشها المجتمعات الرأسمالية ، وتعظيم الطريقة الأمريكية (٤٧) .

ونتيجة لإنتشار الإمبريالية الثقافية الأمريكية وفى ظل عولمة الاعلام ، تأثرت النظم الاعلامية العربية بهذه المظاهر بشكل واضح ، إذ تقلص دور الدولة فى تشكيل اتجاهات الجماهير عبر وسائل الاعلام . وقد فرض البعد التكنولوچى فى عولمة الاعلام تحديات على الدولة القطرية العربية ، وأسقط من الناحيتين النظرية والعلمية احتكار الدولة العربية لمجال البث الإذاعى والتليفزيونى . وفى ظل العولمة تنامى الدور المباشر للشركات المتعددة الجنسيات ، إذ تتمتع هذه الشركات بقدرات مالية وتكنولوجية وفنية هائلة تستطيع من خلالها التأثير بقوة فى تدفق المعلومات والآراء وإنتاج المضامين الإعلامية والترفيهية وترويجها ، علاوة على مصادر التمويل والتسويق ، ومن النتائج السلبية أيضاً لعولمة الاعلام ضعف الهياكل التمويلية والفنية للقنوات التليفزيونية الفضائية فى مظاهر عدة ، فهذه القنوات لا تتفق سوى مليار دولار ونصف سنوياً ، ولا تشارك إلا بثلاثة آلاف ساعة بث كل عام ، الأمر الذى يدفع فى المستقبل نحو ثلاثة احتمالات هى (٤٨) :

١ - إختفاء عدد القنوات التليفزيونية والتى تصل نحو ٥٠ محطة تليفزيونية منها ٢٢ فضائية مملوكة للدولة والقطاع الخاص تعانى من ضيق السوق الإعلانى .

٢ - إندماج بعض القنوات الفضائية التابعة للقطاع الخاص ، وذلك حتى تستطيع البقاء والاستمرار .

٣ - التوسع والتنافس بين القنوات للدخول فى شراكة مع الشركات متعددة الجنسيات وفق اسلوب الوكيل المحلى .

ونخلص مماسبق إلى تأكيد أن اختراق الهوية الثقافية العربية قد تم بوسائل متعددة ومنذ زمن طويل ، لكن انتشرت هذه العملية فى الآونة الأخيرة ، ولا سيما بعد تعاظم أهمية تكنولوچيا البث التليفزيونى المباشر ، وقدرة الولايات المتحدة من خلال امكانياتها التكنولوچية والاقتصادية والسياسية على التأثير فى نشر ثقافتها وطمس بقية الثقافات العالمية ، حتى بدت بوادر أزمة فى الهوية الثقافية فى دول أوربا الغربية نفسها ، وبدأت مشاكل الأقليات الأجنبية تظهر فى كثير من دول العالم وأخذت بعض الدول الأوربية مثل فرنسا تجاهر بالقول بضرورة تمييز الثقافة الفرنسية عن الثقافية الأمريكية ، وتبدى تخوفها من الغزو الثقافى الأمريكى ، إذن عملية اختراق الهوية الثقافية العربية ليست وليدة

الساعة ، وغير مقصورة عليها ، علاوة على ذلك ساعد البث التليفزيونى المباشر إلى حد كبير فى إتمام عملية الاختراق .

### ٣ - تأثير البث التليفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية .

أصبحت وسائل الاعلام تلعب دوراً أساسياً فى تشكيل اتجاهات الجماهير والمحافظة على الشكل الاجتماعى للمجتمع . وهذا ما ذهب إليه علماء الاجتماع . إذ رأوا أن وسائل الإعلام تستطيع التأثير فى سلوك الأفراد والعمل على إبراز العادات والتقاليد التى تعمل على زيادة الارتباط بين أفراد المجتمع الواحد ، وقد ربط العلماء قديماً بين التقدم المادى والإعلامى فى المجتمع وزيادة وعى الأفراد ، أى أن هناك إنتاجا آخر غير الإنتاج المادى وهو إنتاج ذهنى واجتماعى وتلعب القوانين الاجتماعية والنظم الثقافية دوراً هاماً فى المجتمع ، ويأتى ذلك من خلال مواكبة التقدم فى مجالات التكنولوچيا المتعددة (٤٩) .

وقد أكد معظم الباحثين أهمية الثقافة وفاعليتها فى المجتمع ، وضرورة الاهتمام بالقيم والعادات التى تساعد على تنمية المجتمع وإهمال القيم السلبية ، وأكدوا أيضاً أن كل هذا يتم من خلال عامل واحد هو الاعلام ووسائله المختلفة . فالثقافة والإنتاج المادى وجهان مختلفان لعملة واحدة ، أى أن الثقافة هى عبارة عن الجزء النظرى الذى يمد الإنتاج بالقوانين والنظريات والأفكار .

والثقافة تعبير واسع يتضمن العديد من الأفكار فهى من ناحية عامل حيوى للتليفزيون الذى من المفترض أن يعكس الخبرات وأساليب الحياة والمعتقدات التى تميز كل بلد عن الآخر ، ومن المهم ونحن نعرف الثقافة أن نعتبرها طريقة شاملة . ولذلك تهتم الأمم والمجتمعات المحلية والجماعات بتنويع الخلفية الثقافية والخبرات التى يتلقاها الفرد فى المجتمع ، وتهتم جميع شعوب العالم بانعكاس قيم بلادها وشئونها عبر وسائل الاعلام الجماهيرية . ويتعرف الأطفال أنفسهم عبر شاشة التليفزيون ، إذ تعطى هذه العلمية أهمية كبرى فى الإحساس القوى بالهوية الثقافية ، ويأتى ذلك من خلال القصص التى تروى عليهم ، فتعكس صورتهم عبر التليفزيون . ويستطيع المجتمع المحلى أن يشجع الأطفال على تنمية الملكات الحسية لديهم ويشعرهم بالفخر بغض النظر عن المكان الذى يعيشون فيه أو الذى قدموا منه (٥٠) .

وفى عصر التليفزيون المتعدد القنوات ، انتشرت خدمات الكابل والقمر الصناعى عبر الكرة الأرضية ، ويتنافس المذيعون فى المحطات العامة مع مذيعى المحطات التجارية ،

وشكلت حماية الهويات الثقافية وتعزيزها قضية محورية فى موضوع البث التليفزيونى المباشر . وعلى سبيل المثال نصت الفقرة الأولى للدستور المقترح لتليفزيون الأطفال على أنه يجب أن يكون لهم برامج معينة تتعامل معهم بشكل محدد وتعكس احتياجاتهم بصفة خاصة ، وكذلك اهتماماتهم وشئونهم وتثقفهم ولا تستغلهم . وانطلاقاً من أهمية الحفاظ على الهوية الثقافية للناشئة ، خلصت العديد من المؤتمرات إلى حاجة الأطفال لتليفزيون خاص بهم يحترم ثقافتهم ولغتهم ، وتأتى فيه القضايا المطروحة والقصص المروية مناسبة لخبرات مجتمعهم الصغير ، ويعبرون من خلاله عن إبراز اهتماماتهم ، وهذا التليفزيون ينتج برامجه لجمهور محلى ، ولا ينوى تصدير برامجه ، ويبتعد عن الهيمنة المستقبلية للتليفزيون العالمى والتجارة العالمية فى مجال الوسائط السمعية والبصرية (٥١) .

وإذا حاولنا التعرف على تأثير البث التليفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية العربية، نجد أن هناك افتراضاً بأن تكنولوچيا البث المباشر ليس لديها التأثير السريع فى المجالات الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى . وقد تطوع بهذا الافتراض بعض الباحثين المهتمين بهذا الموضوع مثل ( بوينز Pwens و نوى Nye ) يبدو ذلك من خلال صعوبة حساب حصة الديمقراطية فى عصر المعلومات . وعلى سبيل المثال أصبح الأردن بلداً ليبرالياً ، ولكن هذه الليبرالية تتطلب زيادة استخدام البث المباشر وشبكات الإنترنت . وقد بلغت نسبة مشتركى الإنترنت عبر التليفون الدولى ٠,٢ ٪ . ومن هنا يصعب وصول الإنترنت إلى معظم السكان . وفى الكويت كانت هناك قيود مفروضة على استخدام تكنولوچيا الاتصال قبل حرب الخليج سنة ١٩٩١ . وفى ضوء تقييم تأثير تكنولوچيا الإعلام فى الممارسات الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى ، هناك آراء تؤكد أن للتكنولوچيا تأثيرات هائلة ، ولكن فى أماكن أخرى من العالم ، وليس فى العالم العربى ، ولكن معنى هذا أن العالم العربى لا يمكن أن يبقى محصناً من تأثيراتها . وربما كانت الهوية الإسلامية المحافظة لأغلبية الناس هناك سبباً فى ذلك ، بالإضافة إلى إصرار استخدام الأساليب الأبوية التقليدية للحكومة فى قيامها بدور الحاجز أمام تدفق المعلومات للقوى الليبرالية ، والأكثر أهمية من ذلك هو درجة الأمية وكمية الثورة ودرجة الوصول إلى تكنولوچيا الإعلام التى تتحدد بإمكانات ديمقراطية المعلومات فى أى مجتمع (٥٢) .

وربما لم تكن الهوية الثقافية العربية الوحيدة الأقل تأثراً بالبث التليفزيونى المباشر ، إذ توجد أطروحة ماچستير غير منشورة عن مشاهدة محطة M T V فى الهند وتأثيرها على سلوك المراهقين ، فقد أثبتت الدراسة أنه بالرغم من بعض الإشارات السطحية للتأثير

الثقافى الموجود والمتمثل فى تفضيل بعض الشبان الهنود لعبة البيسبول والجنز الأزرق ، لكن فى النهاية وعند الحديث عن اتجاهات الشباب نحو الجنس المقابل وزواج الأطفال والقضايا الدينية ، فقد لوحظ أن M T V لها تأثير ضعيف (٥٣) .

وتخلص وجهة النظر السابقة إلى أنه من الممكن تحديد التأثيرات الحقيقية للبرامج الغربية على الثقافات الأخرى من خلال الدراسات الاثنوجرافية ، لكن مثل هذه الدراسات قليلة العدد جداً . وقد أثبت ( مايكل تراثى Michael Tracay ) أن أكثر الحقائق البسيطة المتوفرة عن مشاهدة التليفزيون تشير إلى أن دوره فى أى مجتمع أكثر تعقيداً بكثير ، وغالباً ما تحسب بأى حساب فالجماهير تميز وتتجه نحو تفضيل إنتاج تليفزيونى محلى وتفضله عن البرامج الخليعة المستوردة . وأكبر دليل على ذلك هو فشل ( دالاس ) فى اليابان ، وهو ما يؤكد أهمية الجمهور فى التميز (٥٤) .

وبالرغم من التحليلات الامبريقية التى تفترض وجود لا مبالاة بالمنتجات الإعلامية الأمريكية مثل (دالاس ) و ( M T V ) مازالت الاستعمارية الإلكترونية موجودة بواسطة كثير من المواطنين وموظفى الحكومة فى الدول العربية أو أى مكان آخر ، وتمثل تهديداً عالمياً . فالاستعمارية الالكترونية والامبريالية المالية والثقافية لم تعد موجودة على الأرض، ونادراً ما تكون موجودة ، ولكنها موجودة فى الوعى المسلوب وطرق التفكير وأسلوب الحياة . وفى بعض الأحيان تحاول بعض الدول العربية مقاومة هذه الاستعمارية ، ولكن أصبحت معظم منتجات الثقافة الأمريكية تتخلل الثقافات الأخرى ، الأمر الذى قاد النقاد لإثبات أن ما نشاهده ليس سوى إنشاء لثقافة عالمية (٥٥) .

ومن القضايا التى تتأثر بها الهوية الثقافية العربية التعددية فى القنوات التليفزيونية ، إذ إنه ليس هناك على الإطلاق تأكيد بأن مستقبل التعددية وخصوصاً فى القنوات الخاصة سيشهد تنوعاً فى برامجها ، سواء البرامج المقدمة عن طريق القنوات الخاصة والمقدمة عن طريق المحطات الأرضية . وتكمن أكبر الأخطار الهامة على التليفزيون العالمى فى عملية التجانس أو التشابه . فما لم تتعدد القنوات فى المستقبل ، فسوف يسيطر عليه عدد قليل من الناس يزودونه بالبرامج ، التى يقدمها عدد قليل كذلك . وهذا ربما لا يعكس فى الواقع الخبرات الثقافية للجماعة ككل . وبشكل مشابه ، المذيعون فى المحطات الأرضية الذين يستوردون معظم برامجهم لا يحتمل أن يساهموا فى أى طريقة هامة لتنمية الهويات الثقافية لجمهورهم (٥٦) .

ويتضح مما سبق أن دور التليفزيون فى تشكيل الهوية الثقافية يدخل فيه الجانب التجارى . فهناك اعتقاد بأن الولايات المتحدة تتحكم فى ٨٥٪ من حجم التجارة العالمية فى مجال الوسائط السمعية والبصرية ، وعلى النقيض تستورد حوالى ٤٪ فقط من برامجها من دول العالم ، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى حدوث نوع من التماثل بين أنماط مشاهدة الجماهير . ونلحظ ذلك عندما يشاهد الجماهير برامج التليفزيون فى كل مكان ، ويتلون نفس العبارات التى يسمعونها ويشاهدونها (٥٧) .

وإذا حاولنا تفسير سيطرة البرامج التليفزيونية الأمريكية على معظم المحطات التليفزيونية فى كثير من دول العالم ومن بينها الدول العربية ، نجد أنه من المحتمل أن يحصل المذيعون على موادهم البرامجية من الولايات المتحدة بشكل رخيص جداً ، خصوصاً برامج الرسوم المتحركة ، حيث من السهل نقلها إلى اللغات الأخرى . وتكون تكلفة إنتاجها محلياً أكثر من استيرادها . ولهذا السبب نجد البرامج المحلية ضعيفة فى كثير من الحالات. وهذا يقودنا إلى توجيه الانتقاد إلى الولايات المتحدة والزعم بأنها تمارس إمبريالية عالمية وتمارس غزواً ثقافياً للمجتمعات العربية على نطاق واسع (٥٨) .

وقد خلصت ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافى لدول الخليج العربى التى عقدت فى مسقط بسلطنة عمان سنة ١٩٨٥ إلى أن الأهداف المعاصرة للغزو الثقافى للمجتمع العربى تكمن فى صرف انتباه هذه المجتمعات عن تنفيذ الخطط المعادية حتى تتم والناس مشغولون بالأحداث القريبة المفتعلة ، وأن تصبح هذه المجتمعات دائماً فى حالة من عدم الاستقرار ، ومن ثم يسهل استنزافها وإضعافها والسيطرة عليها . وكذلك يهدف الغزو الثقافى إلى تشويه صورة الإسلام وصورة العرب والمسلمين من خلال تصوير سلوك المخرجين على أنه السلوك الإسلامى الأصولى والاتجاه للقارئ والمستمع والمشاهد العالمى بأن الإسلام دين متأخر لا يصلح لهذا العصر . وأخيراً يهدف الغزو الثقافى إلى هدم اللغة العربية وإحلال العامية محلها إلى جانب لغته الأجنبية (٥٩) .

ونستنتج مما سبق أننا لا نستطيع إغفال تأثير البث التليفزيونى المباشر وسواء القادم من الخارج أو مانبثه نحن إلى مواطنينا فى العالم العربى فى هويتنا الثقافية . إذ تشير معظم النتائج والدراسات إلى الإمكانات الفنية الهائلة التى تتمتع بها المحطات الفضائية الأجنبية وما تقدمه من مواد إعلامية جذابة تخفى وراءها مخاطر عديدة - يجعلها موضع اهتمام بعض الفئات من المواطنين فى المجتمعات العربية وتكمن الخطورة فى أن هذه الفئات تتمثل فى الشباب . ودون الدخول فى تفاصيل يوجد فى العالم العربى الآن كثير من

مظاهر التقليد والمحاكاة للثقافة الغربية على نطاق غير محدود ، ويتمثل ذلك فى عادات المأكل والملبس وممارسات الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية بين الناس وسيادة الحاجات المادية على المعنوية . أما ما نقدمه نحن فى محطاتنا الفضائية ، فيبدو تأثيره أخطر من البث القادم من الخارج ، وربما ذلك لأننا نقدمه باللغة التى يفهمها مواطنونا ، ولذلك تكون درجة الإقناع والتأثير مرتفعة ويزيد الأمر خطورة عندما نقوم بترجمة الأعمال الإعلامية الغربية إلى العربية وعرضها فى محطاتنا التليفزيونية علاوة على ضعف الإنتاج المحلى فى مجال البرامج والمسلسلات والأفلام .

وبالرغم من المخاطر العديدة للبث التليفزيونى المباشر ، تبقى حقيقة هامة وهى أنه أصبح ضرورة تمليها ظروف العصر ، إذ لايستطيع الفرد منا أن يعيش فى عزلة عن العالم ، لكن ما يجب أن نفعله تجاه هذا الخطر الداهم هو تصحيح الطريقة التى نعامله بها كما فعلت الصين واليابان وحافظتا على هويتهما الثقافية . بالإضافة إلى رسم سياسة إعلامية مشتركة تضع الخطط والمبادئ لمعاملة هذه الظاهرة . وإذا بدأت الأمة العربية مجتمعة فى تنفيذ مثل هذه الإجراءات ، وسوف تكون النتيجة عظيمة ، لأن ما يميز هويتنا الثقافية أن لها جذوراً مستمدة قواعدها من الدين الإسلامى .

## رابعاً : البث التليفزيونى المباشر والهوية الثقافية المصرية .

تميزت الهوية المصرية بأنها نشأت منذ آلاف السنين ، وامتدت متنامية عبر الزمان والمكان معبرة عن نفسها فى كثير من الحضارات حتى استقرت فى أحضان الحضارة العربية الإسلامية . وتميزت الهوية الثقافية المصرية بسمة الشمول ، إذ أنها لم تنجل فى الآداب والعلوم دون التقاليد ، ولا فى دنيا المادة دون آفاق الروح ، بل شملت نواحى الحياة جميعاً ، وظهرت فى الفنون والطرز الشعبية وتجلت فى العلوم والتشريع والفقه مثل تجليها فى النظام الاجتماعى والعمارة والتصوير وطرائق الفكر وألوان الآداب والتاريخ . وتميزت الثقافة المصرية بقدرتها على استيعاب الثقافات الأخرى دون أن تفقد شخصيتها وخصوصياتها . علاوة على ذلك لم تبق الثقافة المصرية جامدة على شكل واحد ، وكانت على مر العصور قابلة للنمو والإبداع والتطور المتجدد . وتفردت الثقافة المصرية عن بقية الثقافات الأخرى فى عدم تأثيرها بالاستعمار عبر تاريخها الطويل ، وظلت محافظة على هويتها واستقلالها الثقافى خلال هذه الحقبات التاريخية .

وفى ظل الثورة الاتصالية التى يشهدها العالم فى العصر الحديث لم يكن المجتمع المصرى فى عزلة عن هذه الأحداث ، إذ دخلت تكنولوجيا الاعلام المتقدمة المجتمع المصرى ،

وانتشرت ظاهرة الأطباق الهوائية فوق اسطح المنازل ، وبدت نسبة ليست قليلة من المواطنين ولا سيما فى المدن يستقبلون المحطات الفضائية بسهولة ويسر . ومن هنا كان من الضرورى أن تنتج آثارها على الهوية الثقافية المصرية .

وفى محاولة لنتعرف على تأثيراتها المتعددة على الفرد والمجتمع نستعرض فى الصفحات القادمة نتائج الدراسة الميدانية التى أجريت على عينة من جمهور مدينة الاسكندرية ممثلة للمجتمع المصرى ، حيث نطلع على أنماط متابعة الجمهور للقنوات الفضائية وعاداتها ، وكذلك أنماط التأثير التى يتركها البث المباشر فى الهوية الثقافية ، ونناقش أيضاً علاقة الظروف الاجتماعية والاقتصادية بالهوية الثقافية واخيراً دور الدولة فى حمايتها ، إذ توجد اختلافات بشأن هذه القضايا .

**وفيما يلى نتائج الدراسة الميدانية :**

**١ - انماط متابعة الجمهور للقنوات الفضائية وعاداتها :**

( أ ) أوضحت نتائج الدراسة بشأن علاقة المبحوثين بمتابعة قنوات الدش أن معظم أفراد العينة يحرصون على اقتناء جهاز خاص بهم وأن معظم هذه النسبة تستقبل أكثر من ثلاثة أقمار صناعية ، وانخفضت نسبة من يستقبلون قمراً صناعياً واحداً إلى ١٥٪ من نسبة مجموع أفراد العينة . وبخصوص شراء الطبق والأسباب التى دفعت المبحوثين إلى شرائه وتشير النتائج أن أكثر من ثلث أفراد العينة قاموا بشراء الجهاز منذ أقل من ستة شهور فقط ، بينما انخفضت نسبة الذين اشتروا الجهاز منذ ثلاث سنوات فأكثر ، ويرجع ذلك بالتأكيد إلى أسباب اقتصادية تتمثل فى ارتفاع سعر الجهاز عند بداية ظهوره ، ثم عندما انتشر فى الأسواق وتنافست الشركات فى استيراده زاد الإقبال على اقتنائه وببحث الأسباب التى دفعت المبحوثين إلى شراء الدش وجد أن نسبة كبيرة منهم قرروا الشراء طمعاً فى مشاهدة قنوات أكثر والتعرف على عادات وثقافات الآخرين .

(ب) وبالنسبة للمواد والبرامج التى يحرص المبحوثون على متابعتها فى القنوات الفضائية، أوضحت نتائج الدراسة تصدر المسلسلات العربية المقدمة بنسبة ١٢,٥٨٪ ثم نشرت الأخبار والأغانى والموسيقى العربية بنسبة ١١,٤٤٪ فى كل منها ، وكذلك الأفلام العربية ١٠,٢٩٪ ، فى حين انخفضت نسبة من يشاهدون المسلسلات المدبلجة والمسلسلات الأجنبية إلى ٨٪ و ٦,٨٪ على التوالى . ومعنى

هذا أن المسلسلات العربية وكذلك البرامج تمثل عاملاً رئيسياً فى متابعة الجمهور بينما المسلسلات المدبلجة والأغانى والموسيقى الأجنبية تعتبر عاملاً ثانوياً للمشاهد المصرى . وربما يكون مرد ذلك إلى سهولة استيعاب المادة الاعلامية المقدمة باللغة العربية وصعوبة متابعة البرامج والأفلام الأجنبية بسبب عامل اللغة ، علاوة على اختلاف الموضوعات والقضايا التى تتناولها البرامة والأفلام العربية والأجنبية .

(جـ) أما عن القنوات التى يحرص المشاهدون على استقبالها ، فتشير النتائج إلى أن أكثر من نصف عينة الدراسة يفضلون متابعة القنوات الأجنبية ، فى حين كان هناك ٤٦٪ منهم يفعلون العكس . وبخصوص القنوات العربية التى يحرص المشاهد المصرى على متابعتها جاءت قناة الجزيرة القطرية فى قائمة العربية بنسبة ٢٠,٦٪ ، تلاها مباشرة قناة المستقبل اللبنانية بنسبة ١٢,٢٪ وتساوت نسبة من يشاهدون الفضائية المصرية وقناة أوربت ، إذ بلغت النسبة فى كل منها ٩,٥٪ وجاءت فى المؤخرة قناة M B C والنيل الدولية بنسبة ٥,٣٪ و ٢,٢٪ على التوالى . وإذا حاولنا اعادة قراءة هذه النسب نجد أن البرامج الإخبارية المتنوعة وملاحقة الأحداث التى طالما تعطش المواطن العربى إلى الحصول عليها كانت سبباً رئيسياً لتفوق قناة الجزيرة القطرية على بقية القنوات العربية ، بالإضافة إلى العمق فى التحليل والجرأة ولا سيما القضايا غير الخليجية . أما عن أسباب إنخفاض متابعة قناة النيل الدولية ، فربما لأنها تقدم برامجها باللغة الانجليزية ولها طابع مختلف عن القنوات الأخرى ، إذ أنها تقدم برامجها للمواطنين الأجانب .

(د) وبالنسبة لمتابعة القنوات الأجنبية ، أوضحت نتائج الدراسة أن القنوات التركية وقناة C N N الأمريكية احتلتا الصدارة فى متابعة الجمهور المصرى للقنوات الأوربية بنسبة ١٦,٦٪ و ١٦٪ بالنسبة لمجموع القنوات الأوربية والأمريكية . وكذلك احتلت القنوات الروسية والصينية مجال اهتمام المشاهد المصرى بالنسبة للقنوات الآسيوية ، وبلغت النسبة ٢٦,٣٪ فى كل منهما . ومعنى هذا أن الوضع لم يختلف كثيراً عنه فى متابعة القنوات العربية ، فعندما تحتل قناة CNN الأخبارية الأمريكية الصدارة ، فهذا دليل على أن المادة الأخبارية ما زالت تشكل عاملاً رئيسياً وراء متابعة الجمهور للقناة التليفزيونية .

(هـ) وعن أسباب متابعة المبحوثين للقنوات الأجنبية ، أوضحت نتائج الدراسة أن ١٨,٤٪ من أفراد العينة يرون أنها أكثر جاذبية وإثارة إذا ما قورنت بالقنوات

العربية ، علاوة على أنها تتسم بالجرأة فى تناول الموضوعات ويتميز العاملون فيها بمهارة عالية ، وبلغت نسبة من ذكر هذين العاملين ١٢,٩٪ ، وذكر أيضاً ١٢,٤٪ أنها تقدم الحقيقة كاملة . وارجع ١١,٤٪ من أفراد العينة حرصهم على متابعة القنوات الأجنبية لأنها تقدم برامج صادقة ذات تكنيك عال ، وأشار ١٠,٤٪ أنها تعمل بدون رقابة . وانخفضت النسبة إلى إلى أدناها بالنسبة لمن يحرصون على متابعتها بسبب اشباع الرغبة الجنسية ، إذ وصلت النسبة إلى ١,٩٪ . وربما تكون النسبة الأخيرة غير صحيحة لخجل المبحوثين من ذكر هذا السبب . وواضح من قراءة هذه النسب أن الجاذبية والإثارة بالاضافة إلى الجرأة فى تناول الموضوعات تشكل عوامل رئيسية بالنسبة لحرص المشاهد المصرى على القنوات الفضائية الأجنبية ، وربما تكون هذه الأسباب مفتقدة فى القنوات العربية .

( و ) أوضحت نتائج الدراسة أيضاً أن هناك صعوبات تواجه الناس فى متابعة القنوات الفضائية ، وقد انقسم جمهور البحث إلى فريقين ، أكد ٥٢٪ منهم وجود مشكلات فى متابعتها ، بينما ذكر ٤٨٪ عدم وجود أيه مشكلات وبسؤال الفريق الأول ، أرجع ٣٢٪ هذه الصعوبات إلى الترجمة ، و ٣٠٪ إلى مشاكل فنية و ٣٠٪ ذكر أن برامجها ( خاصة القنوات العربية ) تتسم بالطابع المحلى .

**٢ - اتجاهات الجماهير نحو البث التليفزيونى المباشر :**

( أ ) أوضحت نتائج الدراسة أن هناك تبايناً فى وجهات النظر بشأن مجموعة من القضايا التى تشكل العنصر الحاسم فى دور البث التليفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية . ومن أبرز هذه القضايا التوسع فى إطلاق الأقمار الصناعية وزيادة عدد القنوات المحلية وتشفير معظم القنوات ، بالاضافة إلى فرض رقابة مباشرة على الأفلام والمسلسلات الأجنبية وقضية استيراد الأطباق الهوائية وتركيبها وغيرها من القضايا ، وعلى سبيل المثال أيد ٨٠٪ من مجموع أفراد العينة دور القنوات الفضائية فى زيادة التبادل الثقافى بين الشعوب ، بينما اعترض على ذلك ١٢٪ . أيضاً حصلت قضيتا زيادة عدد محطات التليفزيون المصرى إلى الضعف والتوسع فى اطلاق أقمار النايل سات على ٧٢٪ من تأييد الجماهير . وتباينت وجهات النظر بشأن فرض رقابة مباشرة على الأفلام والمسلسلات الأجنبية قبل بثها فى التليفزيون المصرى . إذ انقسم أعضاء عينة الدراسة إلى قسمين ، أيده ٥٠٪ وعارضه ٤٦٪ ، ولم يبد رأى ٤٪ . وعند التعرض لقضية التوسع فى انشاء القنوات المملوكة للأفراد أيد هذا الاقتراح ٤٢٪ من أفراد العينة ، فى حين عارضه ٤٠٪ .

(ب) أما بالنسبة لقضية استيراد الأطباق الهوائية وتركيبها ، فتعتبر من القضايا الشائكة، فمازالت كثير من المجتمعات العربية تتردد بشأن هذه القضية . وقد ذكر ٤٨٪ من مجموع أفراد العينة أنهم يعارضون تدخل الدولة فى هذا الموضوع فى حين أيده ٣٦٪ . وبخصوص فكرة تشفير قنوات النايل سات رفضها أكثر من ثلاثة أرباع مفردات العينة ، إذ بلغت نسبة المعارضين لهذا الأجراء ٧٦٪ ، بينما أيده ١٤٪ . وكذلك جاء الحال تقريباً بالنسبة لوجوب الاعتماد على التكنولوچيا المحلية فقط فى تطوير الأعلام المصرى - حيث اعترض على هذه الفكرة ما يقرب من ثلثى أفراد العينة وبلغت نسبتهم ٦٤٪ ، بينما أيده ٢٨٪ .

**٣ - أنماط التأثير التى يتركها البث التليفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية :**

إن الثقافة العربية التى تستمد شخصيتها المميزة من مفهوم العروبة والتراث الإسلامى تتعرض الآن شأنها فى ذلك شأن بقية الثقافات فى العالم إلى عمليات تدميرية بسبب عملية تهجين قوية جديدة قائمة على استخدام وسائل الاعلام الجماهيرية التجارية الأمريكية . ولم يحدث فى التاريخ من قبل أن توفرت التكنولوچيا الضرورية لعملية الغزو واختراق الثقافة العربية وغيرها من ثقافات العالم على النحو التى هى عليه الآن . ولقد أتاحت عمليات البث التليفزيونى المباشر إزالة كل الحواجز الثقافية ، واستطاعت الولايات المتحدة الهيمنة على موجات الأثير ، وارتفعت حصتها فى مجال انتاج النشرات والبرامج الاخبارية والمسلسلات والبرامج الإذاعية والأفلام وأشرطة الفيديو . وفى هذا الصدد تباينت الآراء بشأن الآثار المحتملة لهذا البث ، لكن من الواضح أنه يترك آثاراً متباينة على مستقبليه ، فتارة تكون ايجابية وأخرى ينظر البعض إليها بأنه سلبية . وقد يترك هذا البث آثاره على الفرد ، ويمتد تأثيره فى بعض الأحيان إلى متابعة المشاهدين لمحطات التليفزيون الوطنى . وقد خلصت الدراسة الميدانية إلى مجموعة من النتائج الهامة فى هذا الموضوع وهى :

( أ ) تباينت آراء الجمهور بشأن الآثار المحتملة للبث التليفزيونى المباشر ، فأكد ٤٠٪ منهم أنه يترك آثاراً ايجابية فقط ، فى حين ذكر ١٨٪ بأن له آثاراً سلبية ، بينما رأى ٤٢٪ من أفراد العينة أن البث المباشر له نصيب من الآثار الايجابية والسلبية معاً . وعندما نحاول التعرف على المظاهر الايجابية نجد أن ١٧,٩٪ يرون أنها تتمثل فى زيادة الوعى بالبيئة العالمية و ١٥,٧٪ يذكرون تنمية المهارات اللغوية ، وأخيراً ١٢,٣٪ يرون فى البث المباشر عاملاً منشطاً للمنافسة بين القنوات وبعضها .

أما عن الآثار السلبية التى يتركها البث التليفزيونى المباشر ، فتشير النتائج أن ٢٩,٢٪ من أفراد العينة يرون أنها تتركز فى تقديم الأفلام والمسلسلات الإباحية ، وذكر ٢٠٪ أنها تخلق فجوة ثقافية بين المواطنين ومجتمعهم ، وأكد ١٥,٣٪ أن المحطات الفضائية تتجاهل الأحداث الداخلية والقضايا الوطنية . وذكر ١٠,٧٪ أن من آثارها السلبية تقليد الأطفال للسلوكيات السيئة التى تعرضها القنوات ، وأخيراً كانت هناك نسبة ٩,٢٪ يذكرون أن من مظاهر الآثار السلبية غرس القيم العدوانية بين الأطفال وتمجيد الثقافات الوافدة والهجوم على الثقافات الوطنية . ونخلص مما سبق إلى أن البث التليفزيونى المباشر فيه من المظاهر الإيجابية التى لو استغلت الاستغلال الأمثل لنهضت الأمة واستعادت مكانتها ولحقت بالتقدم العالمى . وفى الوقت نفسه فيه من المظاهر السلبية التى لو لم نواجهها بحزم لضاعت هوية الأمة ، وذالت ثقافتها بين الثقافات الوافدة.

(ب) أوضحت نتائج الدراسة أيضاً أن البث التليفزيونى المباشر لا يترك آثاراً على الفرد فقط بل يمتد إلى المحطات التليفزيونية الوطنية نفسها . وقد ذكر أكثر من نصف أفراد العينة ٦٠٪ أن استقبال القنوات الفضائية ترك آثاراً سلبية على متابعة قنوات التليفزيون المصرى ، بينما ذكر ٤٠٪ أنه ترك آثاراً إيجابية . وفى بحث الآثار الايجابية ذكر ٣٤٪ أنه يساهم فى تطوير البرامج التليفزيونية تكنيكاً ومضموناً ، وذكر ٢٢٪ أنه يساهم فى تنمية مهارات العاملين ، وقال ٢٠٪ إنه ساهم فى زيادة عدد القنوات المحلية ، وأخيراً أكد ١٨٪ أن من المظاهر الايجابية زيادة عدد ساعات الإرسال أما عن الآثار السلبية التى يتركها البث التليفزيونى المباشر فى متابعة القنوات الوطنية ، فتشير البيانات إلى أن ٤٦,٣٪ من أفراد العينة يذكرون أن هذا البث ساعد على تحول الجماهير عن متابعة قنوات التليفزيون المصرى . وذكر ٣٩,١٪ أن من الآثار السلبية عقد المقارنات الظالمة بين قنوات التليفزيون المصرى والقنوات الأجنبية الأخرى ، وذكر ٨,٣٪ من ذلك استقطاب القنوات الأجنبية للكفاءات والمهارات المصرية من العاملين فى التليفزيون المصرى ، وأخيراً ذكر ٥,٧٪ أن القائمين على التليفزيون المصرى يضطرون فى بعض الأحيان إلى بث البرامج والأفلام الهابطة لمجاراة القنوات الفضائية الأخرى .

نخلص مما سبق إلى أنه إذا كان للبث التليفزيونى المباشر آثار ايجابية وسلبية على المواطن ، فله مثلها على القنوات التليفزيونية الوطنية ، إذ يستطيع القائمون على إدارة

التليفزيون المصرى الاستفادة من المنافسة العالمية فى مجال عرض البرامج والأخبار وتطوير تقنيات البث ، وذلك لضمان عدم انصراف الجمهور عن متابعة قنواته الوطنية ، أما إذا لم نأخذ القضية بمحمل من الجد فربما قد زالت هذه القنوات الوطنية من الوجود لانصراف الناس عن متابعتها . ومن هنا يمكن القول بأن البث التليفزيونى المباشر وضع القنوات الوطنية فى اختيار صعب أمام جماهيرها .

### ٤ - علاقة الظروف الاجتماعية بالهوية الثقافية :

وعلاوة على البث التليفزيونى المباشر ودوره فى الهوية الثقافية ، هناك العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويذكر التاريخ أنه عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، شهدت هذه الفترة ارتباط الثقافة القومية بمبادئ الثورة والعمل على تغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى كانت سائدة فى مصر . وكان جمال عبد الناصر أول من نجح فى إعطاء المعاصرة رؤية مقبولة غير تابعة لمعظم الجماهير . وتمكن من خلال أحاديثه التى تتركز على الخطوط الثقافية للشعب من أن يوحى له بأنه يعرض نموذجاً ذاتياً للتقدم عن طريق نسج تصوره للمجتمع على مخطط أيديولوچى ارتكز فى التعبير عنه إلى العربية والإسلام ، ويرجع الفضل إلى عبد الناصر برد الاعتبار إلى الصورة الذاتية للعروبة بتقديمه الرجل العربى على أنه إنسان يناضل ضد التخلف ويسعى إلى إقامة نظام داخلى وعالمى عادل . وقد انتشرت هذه الصورة البطولية للشخصية العربية الديناميكية خارج حدود مصر (٦٠) .

ويستفاد مما سبق أن الهوية الثقافية المصرية تاريخياً تأثرت بالأوضاع الاجتماعية والسياسية . وقد أكدت نتائج الدراسة الميدانية هذه الحقائق ، إذ ذكر ٤٠٪ من أفراد العينة أن الهوية الثقافية تتأثر بشكل كبير بالعوامل السياسية ، بينما ذكر ٣٨٪ العوامل الثقافية ، واخيراً بلغت نسبة من ذكر العوامل الاقتصادية ٢٢٪ ، وببحث كيفية تأثير الظروف السياسية الداخلية فى الهوية ، وجد أن نصف العينة ذكروا حرية الرأى والتعبير وأكد ٣١,٤٪ أن الديموقراطية تلعب دوراً هاماً فى تعميق الإنتماء لدى المواطنين ، بينما ذكر ١٨,٢٪ بأن وسائل الاعلام تعمل على تماسك المجتمع ووحدته . أما عن تأثير الأوضاع الاقتصادية فى الهوية الثقافية ، فتشير النتائج إلى أن ارتفاع الدخول وتحسن الأحوال المعيشية تؤدى إلى زيادة الرضا وتعميق الإنتماء لدى الناس بالمجتمع ، وحصل هذا العامل على ٢٧,٥٪ من مجموع أفراد العينة ، وفى الوقت نفسه ذكرت نسبة مساوية للسابقة أن الأوضاع الاقتصادية السيئة تعمل على تعلق كثير من المواطنين بما هو

خارجى . وأخيراً وبالنسبة لتأثير العوامل الثقافية ذكر ٤١,٢٪ أن إرتفاع المستوى التعليمى يعمل على زيادة الوعى الثقافى ، وأكد ٣١,٣٪ أن المثقفين يلعبون دوراً مهماً فى تشكيل ثقافة المجتمع ، ويذكر ٢٥,٨٪ أن المثقفين يزودون الإعلام بالقيم الإيجابية .

نخلص مما سبق أن الهوية الثقافية تتأثر أيضاً بالظروف السياسية والاقتصادية والثقافية . فبدون شك يلعب النظام السياسى دوراً مهماً فى تشكيل ثقافة المجتمع . فبالرغم من الأوضاع السياسية السيئة التى عاشها المجتمع المصرى خلال الحقبة الناصرية ، استطاع عبد الناصر غرس مفهوم العروبة فى نفوس الناس ، ونجح فى إبراز الهوية الثقافية العربية داخلياً وخارجياً ، أما بالنسبة لتأثير الظروف الاقتصادية ، فلا يختلف اثنان على أن تحسن الأحوال المعيشية للمواطنين ، وإيجاد فرص عمل تعمل على ربط أبناء المجتمع بوطنهم ، وأخيراً اتضح من نتائج الدراسة الميدانية أن المثقفين يشكلون دوراً مهماً فى إبراز الهوية الثقافية وتوضيح معالمها بل غرسها فى نفوس المواطنين .

**٥ - دور الدولة فى حماية الهوية الثقافية :**

واضح أن قضية الهوية الثقافية لم تعد تشغل اهتمام الباحثين والمفكرين فقط ، بل بدأت تشغل اهتمام الساسة والمسئولين أيضاً . وعندما بدأت الدعوات تتكرر لحث الدولة على التدخل لحماية الهوية الثقافية ، وجدت هذه الدعوات تبايناً فى الآراء والمواقف ، إذ يرى الفريق المؤيد لتدخل الدولة أنها تستطيع فعل ما لا يستطيع عمله الأفراد ، بينما يرى المعارضون أن الدولة لا تسطيع ممارسة أى دور فى ظل الانفتاح الاعلامى على العالم . وتشير نتائج الدراسة الميدانية إلى اعتقاد ٥٦٪ من أفراد العينة فى دور الدولة فى حماية الهوية الثقافية ، بينما كانت النسبة الباقية لا يعتقدون أى أهمية لهذا الدور .

( أ ) وقد أوضحت النتائج أن من يعتقدون فى دور الدولة ذكروا أنها تستطيع أن تطلق الأقمار الصناعية ، وبلغت نسبة هؤلاء ١٨,٤٪ وتساوت نسبة من أكد أهمية التوسع فى إنشاء المحطات التلفزيونية نسبة من دعا إلى إنتاج المسلسلات والأفلام التى تعبر عن الواقع المصرى ، إذ بلغت النسبة لكل منهما ١٧,٣٪ . وذكر ١٣,٤٪ أن الدولة تستطيع زيادة ساعات الارسال بالقنوات التلفزيونية الأرضية والمحلية ، وأخيراً تساوت النسبة بين من ذكر تصنيع أجهزة الاستقبال « الدش » محلياً ومن ذكر فرض رقابة على الأفلام والمسلسلات المستوردة قبل إذاعتها والسماح بإنشاء قنوات يملكها الأفراد ، فبلغت ١٠,٨٪ فى كل على السواء .

(ب) وأوضحت النتائج أيضاً بالنسبة للآراء المعارضة لدور الدولة فى حماية الهوية الثقافية أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية تمنع تدخل الدولة . الأول أن تدخلها يعتبر نوعاً من السيطرة على وسائل الإعلام ، وبلغت هذه النسبة ٣٠,٢٪ . والثانى أن الدولة تعمل على زيادة ارتباط المواطنين بالنظام السياسى الحاكم بغض النظر عن سلبياته ، وبلغت نسبة هؤلاء ٢٠,٩٪ والسبب الثالث الأخير هو أن بعض الباحثين رأى أنها لا تستطيع ممارسة أى دور فى ظل الانفتاح الإعلامى العالمى ، وبلغت نسبة هذه الآراء ٤٨,٨٪ .

(جـ) نخلص مما سبق أن هناك تيارين أساسيين بشأن دور الدولة فى حماية الهوية الثقافية، يرى أنصار التيار الأول أن الدولة بإمكانها عمل الكثير من أجل حماية هويتنا ، وذلك من خلال امكانياتها المتعددة وقدرتها التى تفوق مقدرة الأفراد مثل اطلاق الأقمار الصناعية أو إزالة القيود أمام تملك الأفراد القنوات التلفزيونية . وفى المقابل يرى أنصار التيار الآخر أن الدولة عندما تتدخل ، تحاول تسخير وسائل الإعلام لصالحها وليس للجماهير ، وتعمل على ربط الجماهير بالنظام السياسى بغض النظر عن سلبياته ، وأيضاً يرى المعارضون أن تدخل الدولة فى حماية الهوية الثقافية قد يكون فيه من العبث وتضيع الوقت خاصة بعد عولمة الإعلام ومن ثم عولمة الثقافة .

## خامساً : الجهود المبذولة للحفاظ على الهوية الثقافية العربية :

الحفاظ على الذاتية الثقافية عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية ، وأن يتقبل التغيير دون أن يغترب فيه ، أنه التفاعل بين الأصالة والتجديد . وتأكيد الذاتية الثقافية لا ينفصل عن القيم المرتبطة بالتراث واحيائه على أن يكون هذا العمل مرتبطاً بالفعل الإبداعى ومنطلقاً للثقافة الحية ومنبعاً لتجديد مستمر لإبداعية تتغذى من كل أشكال الثقافة الذاتية الموروثة .

ولقد حاولت بعض الدول اقامة استراتيجيات إعلامية تؤكد هويتها الثقافية . وسنغافورة على سبيل المثال نقود تياراً يؤكد أهمية وجود منظور آسيوى فى الساحة العالمية يرتكز على القيم الآسيوية فى وسائل الإعلام . ولقد لجأت الحكومات الآسيوية إلى تبنى استراتيجيات إعلامية نشطة لمواجهة هذا السيل من الصور والبرامج والمواد الأجنبية . وجاء مشروع تكنولوجيا المعلومات ٢٠٠٠ كى يهدف إلى ربط سنغافورة بالعالم والعكس كأحد المشروعات المكملة لاتجاه الحكومة نحو بناء الاقتصاد الخارجى لسنغافورة ، فمن الناحية الأيديولوجية يعكس اتجاه الاستراتيجيات الإعلامية نحو الإقليمية فى صناعة

الصحافة والإذاعة ، الرغبة الواعية لتغيير فكرة الشرق المحتل . وتمثلت الاستراتيجيات أيضاً فى تخصيص هيئة للإذاعة السنغافورية المملوكة للدولة . وجاء قرار التخصيص مشروعاً مضاداً للهيمنة ولمواجهة تحدى الإذاعات الغربية عبر الأقمار الصناعية (٦١) .

وفى مجتمعات الشرق الأوسط يرى أصحاب المنظور الإسلامى أن تكنولوچيا الإعلام والمعلومات تركز على انتهاك القيم الدينية ، فكما صممت هذه التكنولوچيا لزيادة حجم إنتاج الصناعات الزراعية فى العالم النامى ، تعمل أيضاً على تحطيم ممارسات قرون قديمة ، بالاضافة إلى الأضرار التى يمكن أن تلحق بالبيئة ، كما نرى فى سلسلة أفلام « على مزريوى AliMazrawi » عن الأفارقة ، ويركز الإسلاميون على تكنولوچيا الأقمار الصناعية ، ويعتبرونها عربة لنقل الأفلام الغربية والموسيقى الراقصة ، ويقول « أية الله على خامينى » أن هناك برامج موجهة إلى إيران من الغرب تفسد القيم الأخلاقية للمسلمين. ويجد العديد من المسلمين المحافظين أنفسهم فى مواجهة ضد الولايات المتحدة فى حرب ثقافية تلعب تكنولوچيا المعلومات مثل شبكة « الإنترنت » والبث التليفزيونى المباشر دوراً مهماً فى تسهيل غزو الثقافة الأمريكية والعمل على ترويجها (٦٢) .

وانطلاقاً من الاعتراف بأهمية العلاقة بين الأمن القومى وقوى التمثيل العالمى ، سارعت العديد من الدول العربية إلى مضاعفة جهودها لاستغلال الفرص والاستفادة من عصر المعلومات . وفى كلمات « يوسف محمد السوميت » مدير عام وكالة الأنباء الكويتية أن الوسيلة - خصوصاً وكالات الأنباء - تؤثر فى الرأى العام وتوجهه من خلال تداول الأنباء عبر محطات الراديو والتليفزيون والصحف وحتى لا تتركز قوى التأثير العالمى فى أيدى الأقطاب الإعلاميين الغربيين ، سارعت بعض بلاد الشرق الأوسط ومستثمرى القطاع الخاص إلى الوقوف ضد الاستعمارية الإلكترونية . وهناك واحدة من أكبر الجهود الرائعة لتقليل تبعية الدول العربية للمنتجات الثقافية الغربية ، تتمثل فى القمر الصناعى العربى ( عرب سات ) ، ومؤخراً « نايل سات » ويقوم الأول بتوزيع برامج شركة دلة البركة السعودية التى تملك شركة الإنتاج الإعلامى العربى ، حيث تزود شبكة راديو وتليفزيون العرب بالبرامج والمسلسلات والأفلام . ويذكر الدكتور « وليد حسام » - مدير إدارة شركة الإنتاج الإعلامى العربى - أن ART هى محطة عربية تنتج برامجها وتوزع موادها الإعلامية بواسطة شركات إنتاج أخرى فى الشرق الأسط . والمحطة ليس لديها النية لملأ مجالها الجوى ببرامج مستوردة من الخارج . وتهتم ART بحاجة الأسر العربية المسلمة . وتذيع برامجها على خمس قنوات هى : قناة التسويق ، وقناة عامة ،

وواحدة للرياضة ، وواحدة للأفلام ، وقناة للأطفال ، وواحدة للموسيقى . وتهدف قنوات ART إلى جعل العرب يتحولون عن القنوات الغربية . ويشاهد القناة بشكل منتظم المشاهدون الناطقون بالعربية فى الشرق الأوسط وجنوب آسيا وأوربا (٦٣) .

أما « النايل سات » فهو اضافة جديدة للجهود المبذولة للحفاظ على الهوية الثقافية العربية ، واستطاعت مصر أن تدخل هذا المجال باطلاق « نايل سات » ليفتح الباب أمام نشأة محطات فضائية عربية جديدة تستطيع من خلالها مواجهة البث التليفزوينى القادم من الغرب والولايات المتحدة ، وفى الوقت نفسه توضح صورة العرب والثقافة العربية والإسلامية لشعوب العالم . ولطالما تجاهلت وسائل الإعلام العربية قضايانا الغربية، وحاولت بوسائل متعددة طمس هويتنا الثقافية وعبر النايل سات نشأت المحطات التعليمية والرياضية والإخبارية والفنية والثقافية ، وإن كان الأمل مازال معقوداً على التصريح ببث قنوات دينية تستطيع نشر تعاليم الإسلام وتوضيحه لبقية شعوب العالم. وقد استطاعت محطات النايل سات أن تثبت وجودها فى الفترة الأخيرة ، وتربط الشعوب العربية ببعضها وتوحد أهدافها . وعملت أيضاً على ربط المواطنين العرب المقيمين فى الخارج بأوطانهم الأصلية .

ومن وسائل حماية الهوية الثقافية ما تقوم به بعض الدول من تحديد نسبة البرامج المنشورة فى الإذاعة والتليفزيون كوسيلة دفاعية جيدة ضد ما يحتمل أن نراه من صور متحركة غير مرغوبة قادمة من الولايات المتحدة ، بالاضافة إلى تقوية البرامج المحلية وتدعيمها . وعلى أية حالة مثل هذه المبادرات من الضرورى أن تساعد الحكومات فى تدعيمها ، وفى كثير من الدول المذيعون فى المحطات التجارية مطالبون بعدم تقديم برامج محلية . وفى بعض الدول مثل استراليا وكندا وفرنسا وبريطانيا والدول الاسكندنافية يسمح الإطار التنظيمى فيها بتقديم إعانات حكومية للإنتاج المحلى . وفى العالم العربى حددت كثير من الدول العربية نسبة البرامج المستوردة فى محطاتها الإذاعية والتليفزيونية، وتدعم الإنتاج المحلى سواء فى المسرح أو السينما ، ومن قبل فى الإذاعة والتليفزيون . (٦٤) وقد أثبتت التجارب أن خدمة التليفزيون الحكومى تشكل دوراً هاماً فى تزويد الجماهير بخدمات متنوعة مثل برامج التسلية والبرامج التعليمية والبرامج غير التجارية وتوجيه برامج الأطفال ؛ فالدور المهم لخدمة التليفزيون الحكومى يتمثل فى علاقته بالأطفال من خلال تقديم مجموعة من البرامج الجيدة التى تساعد على غرس القيم الدينية فى نفوس الأطفال .

وهناك نموذج من جهود الدول العربية لاستخدام تكنولوچيا المعلومات فى المقاومة الاستعمارية الإلكترونية يتمثل فى مشروع القناة الإسلامية Islam Vision المقدم من قبل وزراء إعلام الدول الإسلامية سنة ١٩٨٨م واستمرارية وجوده على أجندة الدول الإسلامية حتى اليوم . وفى يوليو ١٩٩٢ اجتمع وزراء إعلام السعودية ومصر والكويت والسنغال وتونس وماليزيا وفلسطين والسكرتير العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى لتطوير استراتيجية إعلام إسلامى ، تتضمن تلك الاستراتيجية الرغبة فى تخفيض تعريفة الاتصالات وتأسيس اتحاد الصحفيين الإسلامى ، واستحداث قناة تليفزيونية جديدة تروج للإسلام عالمياً . وفى كلمات أحد المشاركين وهو رئيس الوزراء السورى أن الإعلام الإسلامى القوى يمكن أن يستخدم كل الموارد المالية والتكنولوجية الضرورية والموارد البشرية الماهرة وهذا يسمح لنا بمخاطبة العالم مباشرة والدفاع عن أنفسنا وشرح قضايانا العادلة ويرغب النشطاء المسلمين فى استخدام نفس التكنولوچيا لملاحقة العالم على طول الطريق وتحقيق فهم أفضل عن العرب والإسلام . وعلاوة على ذلك ترغب دول عربية أن تحمى سيادتها واستقلالها من خلال التبادلات المتوازنة من المعلومات محلياً وأقليمياً وعالمياً (٦٢) .

وفى ظل العولمة التى تشهدها المجتمعات المعاصرة فى كافة المجالات ، فقد أصبحت قوى العولمة تلعب دوراً هاماً فى فصل الثقافة المشتركة عن المكان ، وتشكل تحدياً أولياً للثقافات القومية ولذلك على العالم العربى أن يتحرك نحو عولمة تتجه إلى اهتماماته الوطنية . وما يشجع هذا الاتجاه أن الصهيونية تسعى لتطوير آلياتها التنظيمية الدولية منذ بداية القرن العشرين . فهى تبحث عن طريقة للسيطرة على قنوات الإعلام الدولية من أجل تثبيت مشروع الصهيونية الذى تتبناه . ولذلك يجب على العرب أن يتحركوا بشكل سريع لبناء وحدة إقليمية تستطيع أن تؤثر فى الاقتصاد العالمى ، فهذه البلدان فى حاجة ماسة إلى ذلك ، لأن عمليات العولمة مفروضة عليهم والوحدة العربية هى الاطار الأكثر صحة ليس بسبب تراثنا التاريخى والثقافى فقط ، بل لأسباب عملية كثيرة فالعالم يتجه نحو نظام عالمى يقوم على تقسيم الظلم بين أعضاء الشعوب (٦٦) .

ويمكن القول أن الفهم الحقيقى الدقيق لظاهرة العولمة بمستوياتها المختلفة يمثل مطلباً ملحاً فى العالم العربى ، إذ يجب التعامل مع ايجابياتها ورفض سلبياتها للتوصل إلى تحقيق نتائج علمية وعملية تكرس تأسيس كتلة اقتصادية عربية وإسلامية موحدة وشبكة إعلامية متنوعة ونظام تعليمى تربوى وأكاديمى مشترك بين الدول العربية والإسلامية . وتطوير بناء برلمان عربى إسلامى موحد يجتمع فيه الساسة والمثقفون والمفكرون العرب والمسلمون ليتدارسوا مشاكلهم وقضاياهم (٦٧) .

ولما كانت الخطة الشاملة للثقافة العربية تشكل عنصراً أساسياً فى فهم الهوية الثقافية والحفاظ عليها ، فقد استهدفت هذه الخطة إلى تحقيق مجموعة من النتائج أهمها [٦٨] :

١ - إغناء شخصية المواطن العربى لتأكيد وعيه بعقيدته وعربيته وكرامته وقدرته على مواكبة التطور الإنسانى المعاصر والمشاركة الفعالية فيه .

٢ - تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فى الوطن العربى بوصفها ركن البناء الحضارى ؛ فالثقافة ليست كياناً مغلقاً على ذاته ، بل هى تفاعل دائم مع ما يحيط بها .

٣ - إبراز الهوية الحضارية العربية الإسلامية وتنميتها والمحافظة عليها بوصف الثقافة مستودع الأصالة فالتراث الثقافى العربى الإسلامى كنز واصه من الخبرات والقيم والعطاء الحضارى المادى والمعنوى المكتوب والشفوى ، كما أنه الأساس الذى تقوم عليه الهوية الثقافية للأمة .

٤ - تأكيد الوحدة بين أقاليم الوطن العربى وزيادة أواصرها ؛ فالثقافة العربية هى النسيج المكون لرابطة التأخى بين العرب .

٥ - الحفاظ على اللغة العربية باعتبارها من العناصر الأساسية فى تكوين الثقافة العربية واستمرارها ، فهى لغة حية متطورة ولديها القدرة على مزيد من التطور والتكيف مع مقتضيات العصر ولذلك فإن الحفاظ على سلامتها يعتبر من الضرورات القومية واحد مستلزمات صيانة الذاتية الثقافية .

ويتطلب الحفاظ على الهوية الثقافية العربية أيضاً ضرورة إنشاء مراكز للدراسات والوثائق وجمع الموروث الشفوى أو المخطوطات القديمة وإنشاء المكتبات ومراكز القراءة ودور الثقافة وقاعات العروض الموسيقية والمسرحية وتنمية صناعة الكتاب ونشره ، وتعزيز الصناعات السينمائية والتوسع فى نشر المطبوعات ، وأخيراً إنشاء مؤسسات أو صناديق خاصة من أجل تمويل الفنون والبحوث [٦٩] .

ويمكن القول أن حماية الهوية الثقافية أو ممارستها فى عصر المعلومات أصبحت أمراً صعباً للغاية . وليس من المستغرب أن تجد الناس يموتون كل يوم فى سبيل حماية هويتهم الثقافية ولاسيما فى ظل تدفق البيانات والمعلومات ، التى أصبحت تنفذ الحدود مثل اليود الإشعاعى فى جسم الإنسان ، حتى إن البلدان التى تظهر آمنة تماماً بهويتها تجد نفسها

محاصرة بالثقافة الأمريكية ، وقد يجد العديد من الزعماء فى الدول العربية أنفسهم فى حالة حرب ليس فقط لحماية أرضهم ، بل لحماية هويتهم كذلك . وعلى سبيل المثال فى منتصف يوليو ١٩٩٥ اجتمع وزراء الإعلام فى دول الجامعة العربية بالقاهرة . وهدف الاجتماع إلى العمل المشترك ضد التهديدات العامة والمتمثلة فى الإرهاب والغزو الثقافى الأجنبى الناتج عن البث التليفزيونى المباشر ، قال وزير الإعلام المصرى «صفوت الشريف» أنها لفترة شديدة الحساسية يعيشها العقل العربى لأنه يخضع للغزو بواسطة القمر الصناعى الذى يسقط من سماء مفتوحة ويجلب القيم والتقاليد الأجنبية إلى مجتمعاتنا ، هذا هو واقع الاستعمارية الإلكترونية (٧٠) .

## خاتمة : النتائج العامة للدراسة

عندما بدأنا الدراسة كان هناك سؤال رئيسى حاولنا الإجابة عليه وهو إلى أى مدى يستطيع البث التلفزيونى المباشر التأثير فى الهوية الثقافية العربية ؟. وقد تطلب الإجابة عليه طرح مجموعة من الأسئلة الفرعية ، حاولت محاور الدراسة الإجابة عليها . وقبل أن نبدأ فى عرض الاستخلاصات والنتائج التى خلصت إليها الدراسة فقد وجدت بعض المفهومات الأساسية ناقشناها . إذ عرفت الهوية الثقافية أنها النواة الحقيقية للشخصية الفردية والجماعية والعامل الذى يحدد السلوم ونوع القرارات والأفعال الأصلية للفرد والجماعة ، والعنصر المحرك الذى يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة . والهوية الثقافية حالة طبيعية مستمرة وعملية منتجة باستمرار ، وليست ثابتة . والهوية الثقافية أيضاً نمط حياة لمجتمع إنسانى ، وتنتقل من جيل إلى آخر بواسطة التعليم والخبرات ، وهى متضمنة فى الثقافات العالمية والتنظيمات الاجتماعية والدين والبناء الاقتصادى والثقافة المادية واللامادية ، وتنتشر بين الجماعات بوساطة الاتصال المباشر وغير المباشر ، وتتبلور داخل الأشكال التنظيمية والقواعد والقوانين وأنماط القيادة وتستطيع المؤسسات العلمية والتثقيفية والإعلامية التعبير عنها بأشكال متعددة وتظهر فى طريقة المأكل والملبس والتفكير والممارسات السياسية والعلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع ومظاهر الإبداع الفنى والأدبى والتكنولوجى .

أما البث التليفزيونى المباشر هو نتيجة حتمية لتطور تكنولوچيا الاتصال . وقد أصبح المواطن يتنقل بيسر بين المحطات التليفزيونية دون رقابة إلا من نفسه وضميره الوطنى والدينى ووفق امكانياته الثقافية واللغوية . وقد أتاحت هذه التكنولوچيا التفاعل الكبير بين الجمهور والوسيلة مع القدرة على التزويد الآنى والتغذية المرتدة ، ووصولاً أحسن إلى المعلومات وإدارة الأعمال متضمنة الصفقات البنكية والشراء المباشر من المنزل . وأصبح البث التليفزيونى المباشر وسيلة أساسية إلى نشر الثقافات ومقاومة الثقافات المضادة ، بالاضافة إلى الاستفادة منه فى المجالات التعليمية والتربوية والترفيهية .

وبالنسبة للإجابة على الأسئلة التى طرحناها فى البداية ، فيمكن استخلاص الأجوبة التالية ، إذ تعتبر بمثابة النتائج النهائية التى خلصت إليها الدراسة . ويمكن إيجازها على النحو التالى :

١ - أصبح التليفزيون - ولا سيما بعد انتشار ظاهرة البث المباشر وتزايد المحطات الفضائية - يشكل محوراً مركزياً فى حياتنا اليومية ، وجزءاً من ثقافتنا . وبعد

أيضاً وسيلة تساهم فى تكامل المجتمع ثقافياً . ويمارس تأثيراً ليس فقط على الأفراد ، ولكن يؤثر أيضاً فى المجتمع . ويؤثر أيضاً فى صياغة السياسات العامة والواقع أن تأثير التليفزيون ليس مرتبطاً فقط بما يعرض على محطاته المتنوعة ، بل بما يتاح له إذاعته من إنتاج وسائل الاتصال الجماهيرى . وكل برامج التليفزيون يمكن أن يكون لها أثر فى التكوين الثقافى للفرد والمجموع ، وسواء كانت برامج للأطفال أو العائلة أو كانت برامج سينمائية أو حلقات مسلسلة أو أخباراً أو برامج متصلة بالأحداث الجارية ، وسواء كانت تمثيليات أو برامج سينمائية أو حلقات مسلسلة أو أخبار أو برامج متصلة بالأحداث الجارية ، وسواء كانت تمثيليات أو برامج تنشد مجرد التسلية . بل أن مثل هذه البرامج خليقة بأن تترك أثرها الثقافى فى الفرد والمجتمع - بطريق غير مباشر - أكثر مما تفعله البرامج والدراسات والندوات الجادة .

٢ - يعتبر البث التليفزيونى المباشر هو الأداة الأساسية فى عولمة الاتصال . وقد انقسم الباحثون إلى مؤيدين ومعارضين لظاهرة العولمة فى الإعلام . إذ يرى المؤيدون فيها تدعيماً للتدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال ، ونظر إليها المعارضون على أنها نفياً للتعددية الثقافية واعتداء على حرية وسائل الإعلام وتفويضاً لسلطة الدولة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات . وبغض النظر عن الاتجاهات المؤيدة والمعارضة ، هناك حقيقة مؤكدة بأن الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصال والمعلومات سوف تشكل عاملاً أساسياً فى نشر العولمة ، بالاضافة إلى تنامى دور الشركات متعددة الجنسيات فى مجال الاقتصاد والإعلام وتراجع دور الدولة فى النظام الإعلامى العالمى الجديد ولا سيما فى مجال البث الإذاعى والتليفزيونى .

٣ - ساهم البث التلفزيونى المباشر القادم من الخارج فى اختراق الثقافات الوطنية ومن بينها الثقافة العربية . إن الولايات المتحدة تنفق ٢٥٠ مليار دولار سنوياً على أساليب الدعاية من أجل ترويج ثقافتها . وأنشأت محطة MTV للقيام بهذه المهمة على مستوى العالم . كما أنها تبث الصور المنحرفة والموسيقى والفنون التى تدغدغ الأحلام وتقدم الإعلانات التى تقوم على الخدع والحيل السنمائية مقابل الحصول على مبالغ طائلة . وتمارس الولايات المتحدة أيضاً الهيمنة الإعلامية على كثير من دول العالم من خلال تحكمها فى معظم مواد وتجهيزات الصناعة التقليدية للإعلام مثل الورق والحبر وآلات الطباعة والتصوير . أيضاً تعتبر جميع تجهيزات المعلوماتية والحاسوبية وغزو الفضاء وبنوك المعلومات تحت سيطرة الولايات المتحدة . وأخيراً

تتركز معظم مصادر البث الإعلامى والأقمار الصناعية ومواد تصنيعها فى يد الولايات المتحدة . وتستطيع مراكز البث والتصنيع بث الأخبار والمعلومات التى تناسبها ، والتحكم فى الأفكار والأذواق والأزياء الثقافية والانتشار الأدبى واللغوى وأن تشكل صورة العالم بما يوافق مصالحها .

٤ - أثبتت التحليلات النظرية والامبريقية أنه ليس للبث المباشر التأثير السريع فى الهوية الثقافية العربية ، خاصة فى المجالات الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى ، ويبدو ذلك لأسباب عديدة ، إذ مازالت حصة الديمقراطية فى عصر المعلومات ضعيفة بالنسبة للمواطن العربى ، بالإضافة إلى إصرار الحكام والقادة العرب على استخدام الزساليب الأبوية التقليدية للحكومة فى قيامها بدور الحاجز أمام تدفق المعلومات اللقوى الليبرالية . أما عن الأسباب الاقتصادية وبدون شك يؤثر المستوى الاقتصادى فى تملك تكنولوچيا الإعلام المتقدمة ، إذ مازالت نسبة كبيرة جداً من شعوب العالم العربى محرومة من استقبال المحطات الفضائية أو الاشتراك فى خدمات الانترنت . وأخيراً بالنسبة للعوامل الاجتماعية توجد حقيقة مؤكدة بزن الهوية الثقافية الإسلامية المحافظة لأغلبية الناس سوف تظل الحصن المنيع أمام أى تأثيرات خارجية .

٥ - أوضحت نتائج الدراسة الميدانية تركيز اهتمام الجماهير المصرية بمتابعة المسلسلات العربية والأغانى والموسيقى وكذلك الأفلام العربية ، بينما انخفضت نسبة متابعة المسلسلات المدبلجة والأغانى والموسيقى الأجنبية . ويرجع تفضيل الجمهور المصرى للمادة الإعلامية العربية عن الأجنبية إلى سهولة استيعابها وصعوبة متابعة المادة الأجنبية بسبب عامل اللغة ، فضلاً عن اختلاف الموضوعات والقضايا التى تتناولها البرامج والأفلام العربية عن الأجنبية ، إذ تثير الأولى اهتمامات الجماهير المصرية ومصالحهم .

٦ - أشارت نتائج الدراسة إلى وجود تباين فى وجهات النظر بشأن مجموعة من القضايا التى تشكل العنصر الحاسم فى دور البث التليفزيونى المباشر فى الهوية الثقافية . ومن أبرز هذه القضايا التوسع فى اطلاق الأقمار الصناعية وزيادة عدد القنوات المحلية وتشفير معظم القنوات ، بالاضافة إلى فرض رقابة مباشرة على الأفلام والمسلسلات الأجنبية وأخيراً قضية استيراد الأطباق الهوائية وتركيبها وغيرها من القضايا . وعلى سبيل المثال أيد ٨٠٪ من مجموع أفراد العينة دور القنوات الفضائية فى زيادة التبادل الثقافى بين الشعوب ، بينما اعترض على ذلك ١٢٪ .

أيضاً حصلت قضيتا محطات التلفزيون المصرى إلى الضعف والتوسع فى اطلاق أقمار النايل سات على ٧٢٪ من تأييد الجماهير . وتباينت وجهات النظر بشأن فرض رقابة مباشرة على الأفلام والمسلسلات الأجنبية قبل بثها فى التليفزيون المصرى فانقسم أعضاء عينة الدراسة إلى قسمين أيده ٥٠٪ . وبخصوص التعرض لقضية التوسع فى إنشاء القنوات المملوكة للأفراد فقد أيد الاقتراع ٤٢٪ من أفراد العينة فى حين عارضة ٤٠٪ .

٧ - تباينت آراء الجمهور بشأن الآثار المحتملة للبث التلفزيونى المباشر ، فأكد ٤٠٪ منهم أنه يترك آثار ايجابية فقط فى حين ذكر ١٨٪ أن له آثاراً سلبية ، بينما رأى ٤٢٪ من أفراد العينة أن البث المباشر له آثار إيجابية وسلبية معاً ، وعندما نحاول التعرف على المظاهر الايجابية نجد أن ١٧,٩٪ يرون أنها تتمثل فى زيادة الوعى السياسى و ١٨,٨٪ ويؤكدون دوره فى تنمية الوعى بالبيئة العالمية و ١٥,٧٪ يذكرون تنمية المهارة اللغوية وأخيراً ١٢,٣٪ يرون فى البث المباشر عاملاً منشطاً للمناقشة بين القنوات بعضها وبعض .

أما عن الآثار السلبية التى يشكلها البث التليفزيونى المباشر فتشير النتائج إلى أن ٢٩,٢٪ من أفراد العينة يرون أنها تتركز فى تقديم الأفلام والمسلسلات الاباحية ، وذكر ٢٠٪ أنها تخلق فجوة ثقافية بين المواطنين ومجتمعهم ، وأكد ١٥,٣٪ أن المحطات الفضائية تتجاهل الأحداث الداخلية والقضايا الوطنية ، وذكر ١٠,٧٪ أن من آثارها السلبية تقليد الأطفال للسلوكيات السلبية التى تعرضها وأخيراً كانت هناك نسبة ٩,٢٪ يذكرون أن من الآثار السلبية غرس القيم العدوانية بين الأطفال وتمجيد الثقافة الوافدة والهجوم على الثقافات الوطنية .

٨ - أوضحت نتائج الدراسة أن البث التليفزيونى المباشر لا يترك آثاره على الفرد فقط ، بل يمتد إلى المحطات التليفزيونية الوطنية ذاتها . وقد ذكر أكثر من نصف أفراد العينة (٦٠٪) أن استقبال القنوات الفضائية ترك آثاراً سلبية على القنوات الوطنية تمثلت فى عقد المقارنات الظالمة بين قنوات التليفزيون المصرى والقنوات الأجنبية الأخرى بالاضافة إلى استقطاب القنوات الأجنبية للكفاءات والمهارات المصرية من العاملين فى التليفزيون المصرى ، وأخيراً قد يضطر بعض القائمين على التليفزيون المصرى إلى بث البرامج والأفلام الهابطة لمجاراة القنوات الفضائية الأخرى . أما نسبة الـ ٤٠٪ التى ذكرت أن للبث التليفزيونى المباشر له آثار إيجابية فقد ذكرت أنه

يساهم فى تطوير البرامج التليفزيونية تكنيكاً ومضموناً ، ويساهم أيضاً فى تنمية مهارات العاملين ويعمل على زيادة عدد القنوات المحلية .

٩ - أوضحت نتائج الدراسة أن قضية الهوية الثقافية لم تعد تشغل اهتمام الباحثين والمفكرين فقط ، بل بدأت تشغل اهتمام الساسة والمسؤلين أيضاً . وعندما بدأن الدعوات تتكرر لحث الدولة على التدخل لحماية الهوية الثقافية ، وجدت هذه الدعوات تبايناً فى الآراء والمواقف ، إذ يرى الفريق المؤيد أنها تستطيع فعل ما لا يستطيع عمله الأفراد ، بينما يرى المعارضون أن الدولة لا تستطيع ممارسة أى دور فى ظل الانفتاح الإعلامى على العالم . وتشير نتائج الدراسة إلى اعتقاد ٥٦٪ من أفراد العينة فى دور الدولة فى حماية الهوية الثقافية ، بينما كانت النسبة الباقية لا يعتقدون بأية أهمية لهذا الدور . وقد ذكر الفريق الأول أن الدولة تستطيع إطلاق الأقمار الصناعية وتتوسع فى إنشاء المحطات التليفزيونية وإنتاج المسلسلات والزفلام التى تعبر عن الواقع المصرى ، وتستطيع أيضاً زيادة ساعات الارسال بالقنوات المحلية . أما الفريق الآخر المعارض لدور الدولة فيعتقد أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية تمنع تدخل الدولة وهى أن تدخلها يعتبر نوعاً من السيطرة على وسائل الإعلام ، أيضاً عندما تتدخل الدولة تعمل على زيادة ارتباط المواطنين بالنظام السياسى الحاكم بغض النظر عن سلبياته ، وأخيراً يرى بعض الباحثين أن الدولة لا تستطيع ممارسة أى دور فى ظل الانفتاح الإعلامى العالمى .

١٠ - خلصت الدراسة إلى التأكيد على أهمية حماية الهوية الثقافية العربية ، إذ أصبحت ضرورة تمليها الظروف من أجل حماية هويتنا واستقلالنا . وأصبحت حماية الهوية لا تقل أهمية عن حماية الأرض . وقد وجدنا امبراطوريات وقوى عظمى تنهار معنوياً دون تدخلات عسكرية أو احتلال ، ويجب أيضاً تأكيد أن محاولات اختراق الهوية الثقافية العربية تأخذ أشكالاً عديدة ، ولكن اخطرها البث التليفزيونى المباشر ، إذ يقدم السم فى العسل وذلك من خلال بث الأفكار الهدامة عبر المسلسلات والأفلام الجذابة . ولذلك يجب معاملة هذا الوضع بتحصين ثقافتنا والتأكيد على مبادئنا ومعتقداتنا .

وفى النهاية يمكن القول أن البث التليفزيونى المباشر فيه من المظاهر الايجابية التى لو استغلت الاستغلال الأمثل لنهضت الأمة واستعادت مكانتها ولحقت بالتقدم العلمى . وفى الوقت نفسه فيه من المظاهر السلبية والتى لو لم نواجهها بحزم لضاعت هوية الزمة

وذابت ثقافتها بين الثقافات الوافدة . وعلاوة على ذلك تبقى حقيقة هامة وهى أنه أصبح ضرورة تمليها وظروف العصر ، إذ لا يستطيع الفرد منا أن يعيش فى عزلة عن العالم ، لكن ما يجب أن نفعله تجاه هذا الخطر الداهم هو تصحيح الطريقة التى نعامله بها كما فعلت الصين واليابان وحافظتا على هويتهما الثقافية . بالاضافة إلى رسم سياسة إعلامية مشتركة تضع الخطط والمبادى لمعاملة هذه الظاهرة . وإذا بدأت الأمة العربية مجتمعة فى تنفيذ مثل هذه الإجراءات . وسوف تكون النتيجة عظمية ، لأن ما يميز هويتنا الثقافية أن لها جذوراً مستمدة قواعدها من الدين الإسلامى .

## الهوامش والمراجع

1 - Robin Allet. group identity and national identity. www//multural mining, co com/'msub 13.htm.jul. 1999.

٢ - د. محمد سكران ، العولمة والهوية الثقافية - رؤية نقدية ، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية ، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية ، مسقط ، بحث غير منشور ، ١٩٩٩ ، ص ٤ .

2 - Canadian multiclturalism : Cultural identity. http//wb20 mind link net /stole/ multicul htm 1996.

٤ - الخطة الشاملة للثقافة العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المجلد الأول ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص : ٤٦ .

5 - jon servaes & Rico lie. Toward a more interpretaive communication research "framework". Television as cultural system. an interpretation of clifford Geertz. http:www.unisa.ac.za/dept/press/com ca/221/servaes.htm/.p:4.

6 - Chris Barker. Global television - an introduction. black well publishers. London. 1997. P:194.

٦ - د. حيدر إبراهيم ، العولمة وجدل الهوية الثقافية . عالم الفكر ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثانى، أكتوبر ، ديسمبر ١٩٩٩ ، الكويت ، المجلس الوطنى للفنون والثقافة والآداب ، ص ١٠٣ .

٧ - المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

٨ - جلال عبد الفتاح ، البث الإذاعى والتليفزيونى المباشر ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة العلم والحياة ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ص ، ٩ - ١١ .

9 - Colin J. Knowles, digital technology-Catalyst or inhibitor of future cultural and sond social exchange. http:www.yu.au/center/pp:1-2.

١٠ - د. توفيق يعقوب ، حول الهوائيات ، مجلة الإذاعة العربية ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، عدد١ ، ١٩٩٨ ، ص ص : ٢٥ - ٢٧ .

١١ - المرجع السابق ، ص ص : ٢٦ ، ٢٧ .

١٢ - المرجع السابق ، ص ص : ٢٧ - ٣٢ .

13 - Tom O'regan. TV as cultural technology: The work of Eric Michaels. The Australian journal of media & culture, vol.3. 1990. http://kalimurdoch.edu.an/continuum/EM work.

14 - ibi.p:3.

15 - Moira Rayner, cultural identity in the age of glolal Television, http://ka li murdoch.edu.au.htm.

١٦ - سعد لبيب ، دراسات فى العمل التليفزيونى العربى ، مركز التوثيق الإعلامى لدول الخليج العربى، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ص : ٤٠ ، ٤١ .

١٧ - د. محمد سيد محمد ، الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٤ ص ص : ٩٢ ، ٩٣ .

١٨ - د. طه عبد العاطى ، الاتصال الجماهيرى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٢٤ .

١٩ - هربرت شيللر ، الاتصال والهيمنة الثقافية ، ترجمة د. وجيه سمعان عبد المسيح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ص : ٦٦ ، ٦٧ .

٢٠ - د. محمد سكران ، مرجع سابق ، ص ص : ٩ ، ١٠ .

٢١ - د. عبد القادر الهيتى ، ثقافتنا والعولمة ، ندوة العولمة والخصوصية الثقافية ، جامعة السلطان قابوس وجامعة الزيتونة التونسية ، بحث غير منشور ، مسقط ١٩٩٩ ، ص ص : ٢ ، ٣ .

22 - Robin Allott, op. eit.

٢٣ - د. محمد شومان ، عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامى العربى ، عالم الفكر ، المجلد ٢٨ ، العدد الثانى ، الكويت ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩، ص: ١٥٩ .

٢٤ - المرجع السابق ، ص : ١٦٠ .

25 - Communication and culture transture transformaton - cultural diversity. globalization and cultural convergence. project ptesent to the European university. Barceland. june 1998. Http//www.steph web.capstone//htm/1998/p:1.

26 - ibid.p:1.

٢٧ - د. عبد الخالق عبد الله ، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها . عالم الفكر ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثانى ، أكتوبر ، ديسمبر ١٩٩٩ ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ص ص : ٧٥ ، ٧٦ .

٢٨ - المرجع السابق ، ص ص : ٧٦ - ٧٨ .

٢٩ - د. حيدر إبراهيم . مرجع سابق ، ص ص : ١٠٥ ، ١٠٦ .

٣٠ - د. محمد سكران ، مرجع سابق ، ص : ١٣ .

31 - Houda Gamal Abdul Nassr. Arabs. Arab- Americans and globalization. www.aihewar.com/HGAnasser.htm. 1999.pp:1-2.

٣٢ - د. حيدر إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ص : ١١٢ ، ١١٣ .

٣٣ - د. سميح مرسون ، الثقافة والتبعية - الغزو الثقافى للعالم العربى ، الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المجلد الثالث ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص : ١١٨٧ .

٣٤ - سعيد سلمان ، الهوية العربية والإسلامية فى الخليج العربى ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافى لدول الخليج العربى ، مسقط ٢١ - ٢٣ أبريل ١٩٨٥ ، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٧ ، ص : ١٧ .

٣٥ - المرجع السابق ، ص : ٢١ .

36 - Nizamid Din Missaghi. Two definition of the word "Arab": Arab identiy through two epectacles Eastern and western. http://www.people.virginia.gdu/amh 2x/aso/kalimat.htm. 1998.pp:2.

37 - Sadek jawad Sulaiman, understanding our culture : A question of identity, www.alhewar.com/culture.htm/p:2.

38 - ibid.

39 - ibid.

٤٠ - سعيد سلمان ، مرجع سابق ، ص ص : ٢٤ - ٢٧ .

٤١ - الفين توفلر ، تحاول السلطة ، ترجمة لبنى الريدى ، الجزء الثانى ، الهيمنة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ص : ١٤٤ ، ١٤٥ .

42 - Deborah Wheeler. New Communication Technologies. Human. rights. development and the defense of middle easten eultural space. wrl. ulexas. edu/"monitors"/1.1/wheeler/oneddocwhewheeler. htm.

43 - Stanley J. Baran. Dennis K. Davis, Mass communication theory - foundations - forment and future. madsdsmoth publishing company California. 1995. p:330.

٤٤ - د. محمد سكران ، مرجع سابق ، ص : ١٢ .

٤٥ - د. حسام الخطيب ، أى افق للثقافة العربية وآدابها فى عصر الاتصال والعولمة ، عالم الفكر ، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب ، الكويت ، المجلد ٢٨ ، العدد الثانى ، أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩ . ص : ٣٣٤ .

46 - Chris Barker. Global Television - an introduction, Black well publishers, London, 1997.p:184.

47 - ibid., : 184.

٤٨ - د. محمد شومان ، مرجع سابق ، ص ص : ١٦١ - ١٧٢ .

49 - Stuart Hall. culture. The media, and ideological effeets. in : james curran. mass communication and society, The open university, 1979, pp ; 315,316.

50 - ibid., pp:418,319.

51 - Moira Raymer. Cutural identity in the age of global television. op. Cit,.

52 - ibid.

53 - Deborah Wheeler, op.eit.

54 - ibid.

55 - ibid.

56 - ibid.

57 - Moira Raymer, op. cit.,

58 - ibid.

٥٩ - د. محمد سيد محمد ، مرجع سابق ، ص ص : ٢٣١ - ٢٣٦ .

٦٠ - روبير انسيو ، الغرب والعرب - هدم وبناء الهوية الثقافية ، مجلة القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ١١٦ ، القاهرة ، يوليو ، ١٩٩٢ ، ص : ٤٣ .

٦١ - ألفت حسن آغا ، البث المباشر والهوية الثقافية ، دراسات إعلامية ، أبريل - يونيو ١٩٩٥ ص : ١٠ .

62 - Deborah Wheeler. op. cit.,

63 - ibid.

64 - Moira Raymer., op. cit.,

65 - Deborah Wheeler. op. cit.,

66 - Houda Gamal Abdul Nasser, op. cit. p:2.

٦٧ - د. عبد القادر الهيتى ، مرجع سابق ، ص : ١٥ .

٦٨ - د. محمد سيد محمد ، مرجع سابق ، ص ص : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٦٩ - سعيد سلمان ، مرجع سابق ، ص : ٢٧ .

70 - Deborah Wheeler., op. cit.